نشأة الحياة الروحية في الإسلام

تيطواح يوسف : أستاذ محاضر (أ)
كلية العلوم الاسلامية - جامعة الجزائر1

المقدمة:

1-الحياة الروحية في الجزيرة العربية قبل الإسلام .
2-مصدر الحياة الروحية في القرآن الكريم .
3-مصدر الحياة الروحية في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم .
4-مصدر الحياة الروحية في حياة الصحابة و أقوالهم .
5-مصدر الحياة الروحية في حياة التابعين و أقوالهم .
الخاتمة (ضرورة إحياء الحياة الروحية الصافية في الإسلام) .

نشأة الحياة الروحية في الإسلام

رغّب القرآن الكريم في الحياة الآخرة الباقية، و زَهّدَ من الحياة الدنيا الفانية في كثير من الآيات، نحو قوله تعالى : {فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير و أبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون} "الشورى/36"، وقوله تعالى: {اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور} "الحديد/20"، ومثّلَ نَبِيُّ الإسلام صلى الله عليه وسلم وصحبه هذه الحياة الروحية من زهد، وعبادة، وذكر، وتجديد التوبة، والتطهر، ودوام المراقبة والشوق إلى لقاء الله تعالى وكل ذلك بمنهج متزن دون إفراط ولا تفريط .

المنارة للاستشارات
ww

وقد اجتمع نفر من الصحابة في دار "عثمان بن مضعون" (**ت 3هـ**) [1] ، منهم: (أبو بكر وعلي وابن مسعود ، وعبد الله بن عمر وأبو ذر وسالم مولى أبي حذيفة ، وسلمان الفارسي)، واتفقوا على أن يصوموا النهار، ويقوموا الليل، ولا ينامون على الفرش، ولا يأكلون الودك - الدسم واللحم - ، ولا يقربوا النساء، وفي رواية هموا بالخصاء، ويلبسون المسوح ويترهبوا؛ فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأتاهم فقال: "ألم أُنَبَّأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا؟ "قالوا بلى يا رسول الله وما أردنا إلا الخير"[2] فقال لهم: "**إني لم أؤمر بذلك**"، إشارة منه عليه الصلاة والسلام إلى إتباع الوحي في كل شيء، وفي أمر العبادة والسلوك إلى الله أيضا، ثم دَلَّهُم عليه الصلاة والسلام على جوهر الدين الحنيف **المعتدل** : "...إن لأنفسكم عليكم حقا، فصوموا وأفطروا، وقوموا وناموا، فإني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وآكل الدسم، وآتي النساء، ومن رغب عن سنتي فليس مني". وفي رواية أخرى عند النسائي قام خطيبا فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "ما بال أقوام حرموا النساء والطعام الطيب والنوم؛ **أما إني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهبانا**- إشارة إلى النهي عن اتباعهم- فإنه ليس في ديني ترك اللحم والنساء، ولا اتخاذ الصوامع، وأن سياحة أمتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد... إلى قوله: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وحجوا، واعتمروا، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان، **واستقيموا يستقم لكم،** فإنما هلك من كان قبلكم **بالتشديد** شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم، فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع " [3] .

وكانت هذه الحادثة سببا في نزول قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون} "المائدة/87-88 "، فبعد أن أحل الله لهم الطيبات واللذائذ وحذرهم من تجاوز حدود الحلال والحرام، طلب منهم بعد ذلك ألا يُقَصِّرُوا في طاعة الله عز وجل، ويتقوه، ذلك أن غالبية الناس يلتفتون إلى اللذائذ من الطيبات، ويغفلون عن متطلبات العبادة والتقوى [4] .

المنارة للاستشارات
ww

فطريق السلوك إلى الله يكون بالتصفية والتزكية على منهج النبوة، **بالإيمان والعمل الصالح**، فلم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم ومن اقتفى أثره، بالعمل والجهاد والأخذ بكل الأسباب الشرعية للتغيير، ونشدان الحق والعدل، وتبليغ الدعوة، وعمارة الأرض والإصلاح فيها فحسب، بل أخذوا أيضا بحظ وافر **من النسك والعبادة والطاعة** مشفقين من ذنوبهم يحذرون الآخرة ويتسابقون في الخيرات والباقيات الصالحات، وممن كان يمثل هذه الحياة الروحية الصافية في الإسلام ـ بعد النبي ـ الصحابي الجليل" أبو موسى الأشعري"رضي الله عنه (ت52هـ)، الذي كان شديد التأثر بالقرآن، وكان يبكي عند ذكر النار وأهوال القيامة، ويُحَذِّرُ الناس من سطوة المال وفتنة الدنيا، وخلفه تلميذه "عامر بن عبد قيس" (توفى في خلافة معاوية بن أبي سفيان) التابعي العابد الزاهد الصائم، كما ظهر الزهد والعبادة عند رجال من التابعين أمثال: (أويس القرني، ومسروق بن الأجدع، والحسن البصري) وغيرهم رحمهم الله جميعا، وعن نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، والصحب الكرام من القُرَّاءِ والفقهاء والزهاد والعباد والعلماء من التابعين تفرعت كل المدارس العلمية والفكرية في الإسلام؛ كما نما الزهد والعبادة في البيئة الإسلامية، **ولسبب أو لآخر ظهر إسم الصوفية** بعد ذلك ليشمل الزهاد والعباد المنقطعين عن الدنيا، والمقبلين على الله .

وبذلك يظهر أن هذه الظاهرة الروحية الناشئة في المجتمع الإسلامي استمدت حقيقتها وأصالتها أولاً من المجتمع الإسلامي، وتطورت في نطاقه مستندة على القرآن والسنة وسيرة الصحابة والتابعين وإن تأثرت بعد ذلك بعوامل خارجية .

نبذة عن الحياة الروحية في الجزيرة العربية قبل الإسلام:

لقد سمع العرب بمختلف التيارات الدينية والروحية في حياتهم الجاهلية، كما دخلت بعض الديانات إلى بلادهم، كالنصرانية واليهودية والمجوسية، لكن هذه الديانات لم تستطع أن تصرف العرب عن حياتهم الدينية والروحية

المنارة للاستشارات
ww

الخاصة بهم؛ فلم يتمكن "أبرهة الحبشي" سنة (570م) أن يصرف العرب عن بيتهم الْمُقَدَّس - الكعبةالمشرفة- رغم بنائه لكنيسة عظيمة باليمن تدعى "القلس" [5].

كما لم يتمكن أهل الكتاب أن يصرفوهم إلى بيت الْمَقْدِسِ بالشام، ولا أن يعبدوا نار المجوس، أو أن يدينوا بالبوذية الهندية أو غيرها من الأديان، بل بقي العرب بأصنامهم المتعددة المختلفة حول الكعبة البيت العتيق الذي يذكرهم بدين "إبراهيم وإسماعيل "عليهما الصلاة والسلام، وإن كان الرهبان في بعض أماكن الجزيرة العربية ، وربما سمع منهم بعض العرب، لكن مظهر الحياة الروحية والعبادة والتعظيم ورجاء الشفاعة ، كل ذلك يقدم عن طريق الأصنام إلى الكعبة (بيت الله الحرام) التي يعتزون بها فارتبطت بها كل قبائل العرب ، وأصبحت تشكل وحدة دينية روحية للعرب حيث يحجون إلى البيت في شهر ذي الحجة من كل عام ويطوفون به ويعظمونه ويقدمون القرابين رغم شركهم .

ونجد مظهر الحياة الروحية لدى العرب من زهد ، وطهارة ، وعفاف ، عند الطائفة التي تدعى بالحنفاء وإن كان إلى جانبهم الكهان والعرافين وسدنة البيت (الحمس...)، إلا أن الحنفاء هم الذين رفضوا عبادة الأوثان مدّعين أنهم على بقايا حنيفية إبراهيم عليه الصلاة والسلام فخالفوا قومهم ، فالحنيف هو الذي يميل إلى الحق، والجنف هو الذي يميل إلى الباطل، وذكر تعالى هذه الحنفية في قوله :{ قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين } "آل عمران/95 " .

ومن الحنفاء : (قس بن ساعدة الأيادي ، عبد المطلب بن هشام ، زيد بن عمرو بن نفيل، عامر بن الظرب، أمية بن أبي الصلت، خالد بن سنان العبسي، القلمس بن أمية الكناني) وغيرهم [6]. وكان " القلمس بن أمية " يرفع شعار التوحيد علناً أمام شرك قومه ، وكانت العرب لا تصدر عن مواسمها حتى يعظها ويوصيها، وقال لهم يوما : "يا معشر العرب أطيعون

المنارة للاستشارات
ww

ترشدوا، قالوا : وما ذاك؟ قال : إنكم تفردتم بآلهة شتى إني لأعلم ما اللّهُ بكل هذا راض وأن اللّه رب هذه الآلهة ، وأنه ليجب أن يعبد وحده "، إلا أن العرب تفرقت عنه ولم تسمع لوعظه [7]، وكذلك كان شأن "قس بن ساعدة" الذي دعا قومه العرب إلى الحنفية الخالصة في سوق عكاظ : "كلا بل هو إله واحد ليس بمولود ولا والد أعاد وأبدى، وأمات وأحيا، وخلق الذكر والأنثى رب الآخرة والأولى" [8] .

وكان "زيد بن عمرو بن نفيل" ينهى عن قتل الموءودة واعتزل الأوثان وذبائح قريش لأنهم تركوا دين إبراهيم وكان يردد هذه الأبيات :

أسلمت وجهي لمن أسلمت له ... الأرض تحمل صخراً ثقالاً
عذتُ بما عاذ به إبراهيم ... مستقبل الكعبة وهو قائم
عزلت اللات والعزى جميعا ... كذلك يفعل الجلْد الصبور
ولكن أعبد الرحمان ربي ... ليغفر ذنبي الرب الغفور [9].

وفي الحقيقة، خلق اللّه تعالى عباده حنفاء على الفطرة، ولكن الشياطين فتنتهم عن التوحيد ففي الحديث القدسي عن رب العزة : "إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ..." رواه مسلم .

وكان بين العرب -كغيرهم من الشعوب - طائفة عرفت باسم **الكهان**، ويعتقدون أن لهؤلاء الكهان صلة بالجن والشياطين، فيلجؤون إليهم من أجل معرفة الغيب المستور لعلهم يجلبون خيراً أو يدفعون ضراً ، والكهان يسجعون في نبوءاتهم ولذلك اِتُّهِمَ النبي صلى اللّه عليه وسلم بالكهانة والسحر، عندما جاءهم بهذا الدين ، فرَدَّ القرآن الكريم على اتهامهم بقوله تعالى: { إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين } "الحاقة/40-43 " .

كما رد على مثل هذه الإتهامات الباطلة أعلم قريش بالشعر والكهانة والعرافة والسحر " **الوليد بن المغيرة** " (ت/1هـ) فعندما سمع القرآن من محمد

المنارة للاستشارات
ww

عليه الصلاة والسلام قال لقريش: " فواللّه ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ولا بأشعار الجن ، واللّه ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ، ووالله إن لقوله لحلاوة وإن له لطلاوة وإنه ليعلو ولا يعلى عليه وإنه ليحطم ما تحته.... "[10].

ومما سبق يتبين أن هؤلاء الحنفاء الزهاد من العرب **لم يكونوا مسيحيين ولا يهودا ولا تأثروا بهم بحال ما**، كما يدعي بعض المستشرقين أمثال الألماني يوليوس"فلهاوزن" (1844 ـ 1918) في كتابه (تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام)، وتبعه الإنجليزي " رينولد نيكلسون" (1868 ـ 1945) في كتابه (في التصوف الإسلامي) بأن العرب كانوا على حظ قليل من التفكر الديني الروحي واشتغلوا بالحياة المادية ، وأن المسيحية متمثلة في الرهبان ، هم الذين حركوا فيهم النفور من الأوثان والميل إلى القول بعقيدة التوحيد ـ وهل في المسيحية توحيد ؟ ـ وزهدوا كالرهبان وقالوا بالحياة الآخرة ، إلى آخر ما ادعوا ، ليفضوا إلى نتيجة أن الحياة الروحية برمتها لدى العرب ، وحتى دينهم الإسلام **ما هي إلا امتداد لدين أهل الكتاب بشكل أو بآخر**؛ ثم إن المصادر التاريخية لم تذكر أن هؤلاء الحنفاء وغيرهم من رواد الحياة الروحية لدى العرب نادوا بعقيدة التثليث أو الفداء والخلاص أو بفكرة الصلب وما إلى ذلك ؛ بل كل ما ثبت عنهم أنهم يسعون إلى إحياء دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام **الحنيفية** ؛ فهذا **"زيد بن عمرو بن نفيل** " لما رفض عبادة الأصنام ـ دين قريش ـ ، ساح في الأرض يطلب ديناً صحيحاً يدين به فسأل اليهود في الشام عن دينهم فأخبروه أنه **لا بد أن يأخذ بنصيب من اللعنة** فقال : إنما فررت من اللعنة ، وكذلك قالت له النصرانية **لابد أن تأخذ بنصيبك من الخطيئة** فقال: إنما فررت من الخطيئة فتوجه إلى السماء وقال : **اللهم إني أعبدك على دين إبراهيم**[11] ، فلذلك كل الحنفاء والعرب يحجون إلى بيت اللّه الحرام في موسم الحج ولم يحجوا إلى بيت المقدس ولو مرة واحدة، **وهذه المحاولة للمناوئين لأصالة الحضارة العربية الإسلامية** طالما نجدها في تفسير التصوف والفلسفة في الإسلام بشكل عام؛ فتارة يرجعون ذلك إلى المسيحية أو إلى الغنوصية

المنارة للاستشارات
ww

الفارسية أو إلى البوذية الهندية أو إلى الفلسفة اليونانية، أي هي انتخابية على الدوام كما يدعي ارنست رينان (1823 ـ 1892) [12].

وفي هذا الصدد يشير الأستاذ علي النشار (1335- 1400هـ) رحمه الله إلى أن المسألة يجب أن تبحث بنزاهة علمية، فكل ظاهرة في مجتمع من المجتمعات إنما **تستمد حقيقتها ووجودها أولا من هذا المجتمع** وتتطور في نطاقه ويتقبلها ولا يستهجنها **كالظاهرة الروحية الناشئة في المجتمع الإسلامي الأول** - موضوع مقالتنا - يقول بحق : "لماذا لا نبحث عن أسبابها ودواعيها وجذورها في بنية هذا المجتمع وجذوره التاريخية فإذا لم نجد ما يبرر ظهور مثل هذه الظاهرة الروحية نحاول تلمس العوامل الخارجية بعد ذلك - إن وجدت - وتلك هي الموضوعية العلمية في الدراسات الإنساني والإجتماعية " [13].

مصدر الحياة الروحية الإسلامية في القرآن الكريم :

لا شك أن المتدبر في آيات القرآن الكريم يجد أغلبها في العقيدة، حيث تُرَغِّبُ في الإيمان بالله واليوم الآخر، وتفضل الحياة الثانية الكاملة والمطلقة - حيث النعيم المقيم في جنات الخلد - وتزهد المؤمنين في هذه الحياة الناقصة الفانية، وتدعو المؤمنين إلى دار السلام وتقوى الله وسلوك الآخرة، وذلك بالعبادة المشروعة، بالتنسك والتهجد والركوع والسجود والإخلاص والصدق والاخبات والوجل ودوام المراقبة لله - الإحسان- والذكر...، قال تعالى: {فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون} "البقرة/152 ".

علماً أن **كلمة الذكر** واشتقاقاتها ذكرت أكثر من مئتين وثمانين مرة في القرآن (288)، وهو الذكر الحكيم ولذلك، فإن كل رواد الحياة الروحية والصوفية عامة يتخذون الذكر **أول منزل** من منازل السائرين إلى الله عز وجل، والله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين أن يذكروه ذكرا كثيراً، أشد من ذكر آبائهم ويسبحوه في كل حين، قال الله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبّحُوه بكرة وأصيلا} "الأحزاب/41-42 ".

المنارة للاستشارات
ww

وأشار إلى العلاقة المتبادلة في **المحبة** بين العبد وربه قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم} "المائدة/54"، وقال أيضا: {ومن الناس من يتحذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب} "البقرة/165".

وذكر لنا أوصافا عدة لهؤلاء العباد الصالحين الذين يقصدون وجه الله تعالى في آية واحدة فقال: {إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما} "الأحزاب/35".

نعم، هناك **عدد كثير من الآيات تشكل مصدراً للحياة الروحية عند المسلمين وتغنيهم عن المصادر الأخرى**، لأنها ترشدهم إلى معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته ونعمه وآلائه وفضله، وتمدهم بالمعرفة الحقيقية بهذه الحياة الزائلة التي يتكالب عليها الناس -العوام- وهي في الحقيقة لهو ولعب وملعونة وملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه [14]، فلماذا لا ينفضون أيديهم منها فيحبهم الله ويحبهم الناس، ولماذا لا يتقربون إلى مولاهم بصالح الأعمال والطاعات المشروعة ويقتدون بنبيهم إمام العباد والزهاد خاتم الأنبياء والمرسلين، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: **"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه ...، قالت عائشة: يا رسول الله أتصنع هذا وقد غُفِرَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فقال صلى الله عليه وسلم: يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا" (رواه مسلم)**، ولماذا لا يحاولون تحقيق الإحسان ودوام مراقبة الله في كل شيء ويحاولون تزكية النفس وتجديد التوبة والإنابة

المنارة للاستشارات
ww

والإستغفار حتى لا يغان على قلوبهم فيكونون من الغافلين كحال عامة أهل الدنيا.

والآيات القرآنية ترسم لنا جليا - مع السيرة النبوية - الحياة الروحية النقية الصافية في الإسلام وتدعو المؤمنين لارتقاء منازل الإيمان ومدارج الكمال من الصلاح والتقوى والتجرد من علائق الدنيا والعوائق والأغيار، وبها تتحقق السعادة الممكنة والمتاحة للإنسان في هذه الحياة، **تحقيق الكمال بالطاقة العلمية النظرية والذاتية السلوكية العملية** [15]، وما يتفضل عليهم ربهم في حياة الخلود وعالم الكمال أحسن وأفضل وأبقى.

والإنسان الذي يعرف حقيقة التسخير في الكون، ونعم الله عليه التي لا تحصى يلهج دائماً بالحمد **والشكر** والذكر والتسبيح، ولا يكون ذلك إلا بالقول والعمل قال تعالى: {...يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور} "سبأ/13"، وهو عمل الصالحين الذين يتفكرون في آيات الله السمعية والكونية ويقفون على عجائب صنعه وخلقه وإحسانه : {الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون } "الجاثية 12" ، كما يدعو القرآن الكريم إلى **مجاهدة النفس** والهوى والشيطان وكل ما يبعد عن الحق وعن نور الله، وهم المحسنون الذين يهديهم الله ، قال تعالى: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين } "العنكبوت/69" .

ويدعو إلى **التقوى** وهي السلاح الأقوى، ويطلب من المؤمنين أن يتزودوا إشفاقاً من هول المطلع والحساب والعقاب ولقاء الله تعالى بأفضل الزاد الذي يقي من الشرك ويقي من غضب الله قال تعالى: {...وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب} "البقرة/197"، كما حكم الله تعالى أن أقرب الناس إليه وأعبدهم وأكرمهم أتقاهم، قال تعالى: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير} "الحجرات/13"، ولذلك نهى الناس أن يدعوا أنهم

المنارة للاستشارات
ww

أطهارا صالحين فالله هو الذي يعلم الصالح من الطالح وهو أعلم بمن اتقى وأطاعه وأطاع رسوله وفضل الله على كل شيء - الرباني الخالص المُخلِص - قال تعالى: { الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللّمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى } "النجم/32" ، هذا وقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز كلمة التقوى واشتقاقاتها أكثر من مائتين وثلاث عشرة مرة (213) ، والنبي الكريم عليه الصلاة والسلام في خطب الجمعة يذكر الناس بالتقوى ثلاث مرات: { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته } " آل عمران/102 " ، { يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ...} "النساء/1" ، { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ...} "الأحزاب/70-71"، والقرآن الكريم يدعو إلى كل الفضائل والمكرمات وإلى كل الخيرات ويلتمسها العبد عند مولاه الذي يجب أن يطيعه بلا انقطاع ويتوالى في الطاعات فلا تتخلله المعاصي حتى يصبح أهلاً لولاية الله، والولي بحق في نعمة دائمة وفي شهود الحق قال تعالى: {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون} "يونس/62-63 ".

هذا ، وفي القرآن كلام **عن الصبر والفقر والتوكل والإستغفار والرضا والمحبة والتوبة** إلى الله تعالى، وهي عبارة **عن صحوة ويقظة الإنسان** -كما يقول ابن القيم - **من الغفلة**، ومحاولة الإستقامة على الجادة ، وذلك بالتوبة التي يحبها الله تعالى ويوصي بها النبي الكريم عليه الصلاة و السلام والعلماء والأئمة وحتى الملائكة وحملة العرش - مخلوقات نورانية - تستغفر للتائب الذي سلك طريق الله وترك طريق الشيطان وتدعو الله أن يوفقه أن لا يعود إلى ظلام جاهليته، قال تعالى: {الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابو واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ...} "غافر7- 9 " .

المنارة للاستشارات
ww

ونشير هنا - في هذه المقالة - أننا لا نستطيع استقصاء كل ما جاء في القرآن الكريم في علم الأخلاق والسلوك والتزكية والحياة الروحية عامة، وحسبنا أننا نذكر شواهد واضحة على أن هذا الكتاب الخالد دعا إلى معرفة الله تعالى وعبادته بكل الأدلة العقلية والسمعية والعلمية والقلبية، المعرفة التي تؤسس للحياة الروحية الصافية النقية الخالصة للمؤمنين ، وفي ذلك رد على دعوة المستشرقين والمغرضين في أن التصوف عامة أو الحياة الروحية لدى المسلمين عبارة عن امتداد للزهد والتصوف في الأمم السابقة كالمسيحية والهندية واليونانية والفارسية، كما ذكرنا آنفا .

مصدر الحياة الروحية في سيرة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وأقواله:

وتجدر الإشارة إلى أننا نشير باقتضاب إلى حياة محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - الهاشمي العربي القرشي (571 - 630 م) قبل البعثة وأنه كان **أهلاً لهذه الكرامة الإلهية وهذا الإصطفاء** ، انطلاقاً من طينه ومعدنه الشريف ، قال عليه الصلاة والسلام: "ما زلت أتنقل من أصلاب طاهرة خيار من خيار" [16] حيث كان هادئ الطبع يميل إلى التفكر والتأمل، ويتحنّثُ في غار حراء ، بعيداً عن شواغل دنيا الناس، زاهداً في نعيم الدنيا متأملاً في الكون والوجود كارها للأصنام والجاهلية مفضلا للعزلة ؛ إذ في العزلة طريق لصفاء القلب كما يقول الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله (450 ـ 505هـ) "التفرغ للعبادة والتفكر والإستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق ، والإشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى في أمر الدنيا والآخرة فإن ذلك يستدعي فراغاً ولا فراغ مع المخالطة والعزلة وسيلة إليه" [17] ، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم في ابتداء أمره يتنقل في جبل حراء وينعزل إليه حتى قوي فيه نور الحكمة ، فكان الخلق لا يحجبونه عن نشدان الحق **فهو ببدنه مع الخلق وبقلبه مع التأمل في أسرار الكون**

فهذا السلوك من محمد صلى الله عليه وسلم العربي - قبل البعثة - من صدق الحديث وصلة الرحم وإغاثة الملهوف وإعانة المحتاج، وكان يسمى

المنارة للاستشارات
ww

الصادق الأمين، محبوبا عند الناس بأخلاقه العالية، أقول هذا الصفاء الروحي والأخلاقي أهّله للاصطفاء وتلقي الوحي والرسالة من الله تعالى ، وهو **الإعداد الإلهي واللطف الرباني بأنبيائه وأوليائه** - قبل البعثة -، كما حصل مثلا للمرأة الصالحة العابدة **مريم بنت عمران** رضي الله عنها، أرشدها الله تعالى في بيت المقدس وألهمها القنوت والركوع والسجود وكفّلها زكريا النبي عليه السلام ، ورزقها من الطيبات لتكون **أهلا لحمل المعجزة الربانية إلى بني إسرائيل**، والنبي الخاتم عليه الصلاة والسلام بعد التكليف بالرسالة في قوله تعالى: {يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر} "المدثر/1- 3 " زاده الله صلاحاً وفضلاً وكمالاً وصفاءً ، إذ تعهده الله سبحانه بالوحي مدة **ثلاثا وعشرين سنة** ليثبت فؤاده، قال تعالى: {وقال الذين كفروا لولا نزّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا} "الفرقان/32 " وقال أيضا: {وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا} "الإسراء/106".

وهذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام الذي جاء على فترة من الرسل كان رحمة للعالمين فعلاً وهو سيد ولد آدم ولا فخر ولواء الحمد بيده يوم القيامة [18] ، ولذلك حق له أن يكون **الإمام في كل شيء**، وخاصة **في السلوك إلى الله** تعالى، حيث كان على خلق عظيم، وزكاه الله من كل جانب، فكان لين الطبع، جميل العشرة، كريم السجايا، عفوا، صدوقا، قنوعا، زاهدا في الدنيا، دائما لمراقبة الله تعالى، مجاهدا لنفسه، **يسعى دوماً للتزكية والكمال** ، فلا يفتر عن الذكر والتسبيح والإستغفار، صواماً قواماً، يتقرب إلى الله ويجهد نفسه في العبادة والنسك، وكل هذه الأحوال وهذه الصفات هي صفات السالكين إلى الله، صفات أهل الله وخاصته، وهم أشد حبا لله، ولن نستقصي هنا فضائل وشمائل هذا النبي صلى الله عليه وسلم (**الرحمة المهداة**)، وإنما نقتبس من سيرته العطرة عليه الصلاة والسلام بعض الشواهد التي تدل على الحياة الروحية الصافية والتي **بها فقط يلج الإنسان إلى حضرة رب العرش الكريم** فيكون مكرما مقبولا وينال مُناه،

المنارة للاستشارات
ww

وبدون إتباع هذا النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام يكون مطروداً مهاناً مبعداً، ذلك أنه صاحب المقام المحمود، فقد خاطبه جل ذكره بإقامة الصلاة والتهجد بالليل ووعده المقامَ المحمود، فرضي له القرب والعبادة :{أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا} "الإسراء/78- 80" .

وكان عليه الصلاة و السلام يتحين فرص الصفاء والهدوء، وسكون الليل، **بل الثلث الأخير من الليل** (حيث ينزل ربنا إلى السماء الدنيا ويقول هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب... هل من سائل) الحديث [19] **فيتعرض لنفحات الله تعالى** ويشكره ويظهر لمولاه ما يحب ، فيقوم الليل حتى تتفطر قدماه وهو النبي الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، لكنه يحب أن يكون عبداً شكوراً كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها الذي مر بنا ، وكان كثير الصيام خاصة في شهر شعبان **و يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله** ويوصي أزواجه بذلك والمسلمين بعدهن[20] ولنذكر العالم كله ـ بحق ـ أننا لا نعلم من الأنبياء والمرسلين وهم أفضل الناس من كانت عنده هذه السنة الحميدة في التبتل إلى مولاه، فإنه عليه الصلاة والسلام رغم أعباء الدعوة والجهاد والغزوات ومؤامرات الأعداء من الكفار واليهود والمنافقين والخصاصة ؛ فإنه لا يجزع بل يستمد العون من الله ويتقرب إليه بهذا السلوك الفذ : {واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا} "المزمل/8 " وكأنه في صلاة دائمة، وتأمل كيف كان عليه الصلاة والسلام يختار الزمان والمكان وفي خير شهر من أشهر السنة الذي نزل فيه القرآن هداية للعالمين، العشر الأواخر التي هي أفضل ليالي رمضان، وفيهن ليلة خير من ألف شهر، ففي النهار صيام عن الشهوات وعن اللغو والرفث، وفي الليل قيام وصلاة وقنوت وتهجد، **عبادات متتالية** من غير أن يتخللها عصيان، **وبها تتحقق الولاية** ـ كما يقول

المنارة للاستشارات
ww

أهل التزكية[21] ، صفاء على صفاء وهو ما يثمر الخشوع ولذة العبادة والإتصال الدائم بالله نور السماوات الأرض ؛ طيلة مدة الإعتكاف إخواني سنة حميدة غالية جدا قلّ من يتعرض لنفحات الله ويحييها في الأمة الإسلامية بل بعض الدول تمنع إحياؤها بحجة الأمن فتحرم الأمة من هذا الخير العظيم، من هذا البلسم الشافي لكل أدوائها في حياتها المادية والروحية وايم الله ـ في نظري المتواضع **إنها ذروة الحياة الروحية الصادقة في الإسلام على نهج النبوة** ، وماذا بعد الحق في السلوك إلى الله إلا الضلال، وليت المسلمين ـ أو بالأحرى رواد الحياة الروحية في الإسلام بالأخص ـ **يعملون على إحيائها على وجهها المشروع** ، وفي باقي الشهور قيام الثلث الأخير من الليل لعل الله يرحمنا في هذه الدنيا ويخرجنا من تخلفنا وفقرنا وذلنا وهواننا على الناس، والنبي العابد عليه الصلاة والسلام في هذا الإعتكاف كان يتلذذ في عبادة مولاه وذكره ومناجاته ويحب الرفيق الأعلى، ولم يكن في تكلف كما قال تعالى: {قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين } "ص/86" ، بل سجية وطبعاً وخُلقا وطهارةً ، ولعل أكثر ما يدل على الحياة الروحية الصافية ـ في أفعال النبي صلى الله عليه وسلم وأقواله ـ وولاية الله لعباده الصالحين ، ما يروي في الحديث القدسي، يبين فيه السبيل المشروع للتقرب إلى الله حتى يحبه الله ويواليه ويدافع عنه : "... من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه ، **وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه** فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه، وإن استعاذني لأعيذنّه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته" (رواه البخاري ، كتاب الرقائق) .

مصدر الحياة الروحية في حياة الصحابة وأقوالهم:

إن حياة الصحابة وأقوالهم حافلة بالزهد والورع والتقوى والإقبال على الله تعالى، فهم اقتدوا بنبيهم عليه الصلاة والسلام في السلوك إلى الله،

المنارة للاستشارات
ww

فكانوا يفضلون الحياة الباقية على الفانية، حريصين على توثيق الصلة بالله عز وجل في عبادتهم ومعاملاتهم وسلوكهم العام **فحققوا حياة أكثر استقراراً وأوفر طمأنينة وأطيب عيشاً**، فكانوا بحق خير القرون وخير رعيل استجاب لله وللرسول ـ للحق والخير ـ على مر التاريخ [22].

وما أحوجنا اليوم في عالم طغيان المادة وتمرد الإنسان على ربه باتباع الهوى ـ **في عصر الشهوات والشبهات** ـ إلى إحياء القيم الأخلاقية الإسلامية الرفيعة ، وإلى الإسترشاد بآراء الصحابة ومواقفهم إزاء الأحداث الدنيوية المتكررة، فكيف حافظوا في قلوبهم على بصائر القرآن الكريم ويتأثرون ويؤثرون، وحافظوا على عقيدة التوحيد صافية نقية بسيطة حتى بلغوا رضوان الله، فمدحهم تعالى بقوله: {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم} "التوبة/100"، وعن فضلهم ينقل لنا خادم رسول الله أنس بن مالك رضي الله عنه (ت 93هـ) هذا الحديث قال: "خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيرا" فغطى أصحاب رسول الله وجوههم ولهم حنين [23].

والصوفية في العالم الإسلامي وكل رواد الحياة الروحية يسعون جاهدين في سيرهم إلى الله تعالى لعلهم ينالون **منزلة الرضا** لكنهم لا يظفرون بها إلا وراء هذا النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، **وليعلموا أنها لا تنال لا بالعلم اللدني، ولا بالذوق أو بمذاهب فلسفية صوفية غريبة عن الإسلام وعن سيرة النبي الأسوة**، وقد رُوِيَ عن الإمام الجنيد رحمه الله (ت297هـ) ـ شيخ السالكين المعتدلين في وقته ـ أنه قال : "الطرق كلها مسدودة على الخلق **إلا من اقتفى أثر الرسول واتبع سنته ولزم طريقته**، فإن طرق الخير كلها مفتوحة عليه ويضيف بأن **الذين حرموا نعمة الوصول إنما حرموها بتضييع الأصول** [24]، ولذلك التزم الصحابة بأصول الدين في طريقهم إلى الله وسار على نهجهم

المنارة للاستشارات
ww

التابعون لهم بإحسان وأحيا طريقتهم الإمام الجنيد وأمثاله في الحضارة الإسلامية .

وأول منازل الطريق إلى الله عند الصحب الكرام، **الزهد** وهو الإعراض عن الشيء لاستقلاله واحتقاره وارتفاع الهمة عنه[25]، وتحدث عنه كثيراً الإمام الترمذي رحمه الله (ت279 هـ) في كتابه سنن الترمذي ، والإمام أحمد بن حنبل (164-241 هـ) في كتابه الزهد وغيرهما ، وكل من لا ينافس الناس في حطام الدنيا يكون محترماً عندهم ويحبه الله، لأنه فاز من تعلقت همته بالله، ففي الحديث : "ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس"[26] .

ونحاول الإشارة في هذه المقالة إلى ثلة من الصحابة وأقوالهم في الإهتمام بأعمال القلوب كالخلفاء الراشدين، وأبو عبيدة بن الجراح، وسلمان الفارسي، وعبد الله بن عمر، وسالم مولى أبي حذيفة، و معقل بن مُقرن، والمقداد بن عمرو، وسعيد بن عامر، وأبي موسى الأشعري، وغيرهم من الصالحين الذين شهد لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم بالخير: "خير أمتي القرن الذي بُعثت فيه"[27].

فأولهم **أبو بكر الصديق** (عبدالله بن عثمان التيمي 50 ق.هـ ــ 13هـ) رضي الله عنه كان **مقدمهم وأفضلهم**، رقيق النفس والمشاعر، لين العريكة، يغلبه البكاء عندما يقرأ القرآن ، ويُلقب بالأواه لرأفته ورحمته ، وشبهَهُ النبي عليه الصلاة والسلام بإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الذي وصفه الله بقوله: {...إن إبراهيم لأواه حليم } "التوبة/114 " ، وكان أبو بكر الصديق كثير الإنابة والتوبة ، شديد الخوف من الله تعالى يخاف من هول المطلع والحساب، ينصح بالبكاء: "ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا" رواه ابن ماجة والبيهقي، وكان رضي الله عنه في مقام المراقبة والإستسلام والرضا التام بقضاء الله وقدره وفي شوق للقاء الله تعالى غير راغب في الإستزادة من حطام الدنيا، فلما مرض قيل له : نحضر لك الطبيب ؟ فأجابهم في يقين تام

المنارة للاستشارات
ww

قد رآني فقال: إني فعّال لما أريد[28]، وهذا الصحابي **العالم الكريم العاقل المحبوب حتى في الجاهلية** كان يحبه الناس لأخلاقه و يحبه النبي عليه الصلاة والسلام لصدقه ويقينه، فكان يوصي به كل خير ويشهد له بالفضل في كثير من أقواله نحو قوله : "لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمّهم غيره"، وحديثه "أبو بكر كالغيث أينما وقع نفع" [29]، وفي مرض موته من شدة إخلاصه بعث ما بقي عنده من الدنيا إلى بيت المال (العبد، والجمل، والقطيفة)، وأوصى أولاده أن يردوا ما أخذه من بيت المال من أجرة طوال خلافته رضي الله عنه وأرضاه - حوالي سنتين ونصف - ولذلك قال عمر رضي الله عنه: "يرحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده" [30]، وعن محمد بن سيرين رحمه الله أنه لم يكن أحد **أهْيَبَ** لما يعلم بعد النبي صلى الله عليه وسلم **من أبي بكر** [31]، والناس كلهم - في عصره - مجمعون على تقديمه وفضله، وشهد له علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله: "رضيَنا لِدُنيَانَا ما رضي النبي صلى الله عليه وسلم لِدِينِنَا"[32]، وراجع ما قال علي في حق أبي بكر عندما توفي أبوبكر رضي الله عنهما[33]، والإمام ابن تيمية رحمه الله (661-728هـ) يضع أبا بكر بعد الأنبياء في صفوة الصالحين السالكين إلى الله، وذلك لتفرده **بمقام الصديق** الذي ذكر بعد النبيين وهو فضل كبير من الله تعالى: {ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما } "النساء/69-70"

وأوّل الأولياء في الإسلام -إذن- **أبو بكر الصديق** رضي الله عنه وأرضاه وهو بعد مرتبة النبي صلى الله عليه وسلم.

وثانيهم **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه (ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، وتوفي عام 23 هـ) كان رضي الله عنه زاهداً في متاع الدنيا يفضل اتباع صاحبيه كي يلحق بهما - النبي وأبو بكر- [34]، شديد الخوف من الله عز وجل والمحاسبة لنفسه، ولما سمع قوله تعالى: {فإذا نقر في الناقور فذلك يومئذ

المنارة للاستشارات
ww

يوم عسير على الكافرين غير يسير} "المدثر8 – 10 " ، سقط مغشيا عليه ومرض فكان الناس يعودونه في داره ، وما علموا ما به؛ وكان يعس في المدينة في الليل مع عبد الرحمان بن عوف وهو الخليفة ، ومناقبه كثيرة جمة ، فعندما طُعن عام (23 هـ) قال : "ويلي وويل أمي إن لم يغفر لي" [35] فأيقن رضي اللّه عنه أننا في هذه الدنيا كعابري سبيل وغرباء، كما جاء في الحديث : "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل" [36]، ذلك لأن الآخرة هي الباقية الخالدة ، فقد مرّ على مزبلة فاحتبس عندها وكأن أصحابه تأذوا بها فقال لهم: "هذه دنياكم التي تحرصون عليها وتبكون عليها " [37]، يطوف بالبيت وعليه إزار مرقع وهو الخليفة -رئيس الدولة- ، ينام على الحصى ودرته تحت رأسه ، وتهابه العرب والعجم ، فهذا **الهرمزان** الذي خدم أربعة ملوك من آل ساسان بإيران ولم يهب منهم أحداً هيبته لصاحب الدرة ؛ فعندما رآه نائما في الخلاء وليس عنده حرس قال: "عدلت فأمنت ونمت قرير العين" [38]، كان رضي اللّه عنه يحب ذكر اللّه لأن ذكر اللّه **شفاء** بينما ذكر الناس والدنيا **داء** ،و **يعتني بحياة القلوب** ويطلب من أبي موسى الأشعري – المقرئ الحافظ – (ت 52هـ) رضي اللّه عنه أن يقرأ عليه القرآن لأنه كان حسن القراءة فيقول له **شوقنا إلى ربنا ،** فيقرأ عليه ولما حضرت الصلاة قالوا له : الصلاة ، فقال عمر رضي اللّه عنه: أولسنا في الصلاة ؟ [39]، ولأن من قلّ ورعه مات قلبه، فقد كان رضي اللّه عنه يُوصي **بمجالسة التوابين لأنهم أرق أفئدة**، وأحياناً يفضل العزلة من أجل التدبر والراحة من خلان السوء، ونذكر بهذه المناسبة أن الأمة مأمورة بالأخذ بهدي هذين الشيخين الجليلين، أبوبكر وعمر رضي اللّه عنهما.كما كان **عثمان بن عفان** رضي اللّه عنه (ولد بعد عام الفيل بـ 6سنوات – وتوفي عام 35هـ) الخليفة الثالث ، كان عابداً ذاكراً، محسناً، لين العريكة ، عاكفاً على كتاب اللّه متهجداً مستغفراً بالأسحار ، قانتا للّه يشفق من هول المطلع ، فعن ابن عمر رضي اللّه عنه : أن من قصد تعالى بقوله : { أمّن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه

المنارة للاستشارات
ww

قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب } " الزمر9 "، هو عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه[40] ، وكفاه شرفا وصلاحا أن ينال شرف هذه الصفات الجليلة في الآية الكريمة ، وكان يعظ الناس: " ألّا تغركم الحياة الدنيا فلا تبترّكم الفانية ولا تشغلنّكم الباقية" ، كثير الإنفاق في سبيل الله ، وهو من جهّز جيش غزوة العسرة **بألف بعير بأحلاسها وأقتابها** ، فسر النبي عليه الصلاة والسلام وقال : " ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم " ودعا له بالخير، وكان حييا، محبوبا عند الناس، ذو النورين ، ينام في المسجد في ملحفة ليس حوله أحد ، لا يحب أن يأتي عليه يوم لا ينظر في كتاب الله عز وجل (عهد الله)، **وحتى عندما قُتل مظلوماً في داره كان المصحف في حجره رضي الله عنه ، وهو دليل قاطع على دوام اتصاله بالله تعالى إلى آخر رمق من حياته وهو محاصر في بيته** ، ودليل أيضا على صفاء جوهر هذا الرعيل الأول الذي اختارهم الله تعالى لصحبة خاتم الأنبياء والرسل للعالمين، أفضل جيل بعد الأنبياء، كان رضي الله عنه **يوصي بمخالطة الصالحين** لأنها فضيلة **والإقتداء بهم** لأنها فريضة، **وبتلاوة القرآن** لأنها فضيلة **والعمل به** لأنها فريضة، **وبزيارة القبور** لأنها فضيلة **والإستعداد للموت** لأنها فريضة [41].

ولنا وقفة مع **الخليفة الرابع علي بن أبي طالب** رضي الله عنه (ولد قبل البعثة بـــ 10سنوات - وتوفي عام 40 هـ)، و ينبغي الإشارة منذ البداية أن **الصوفية** ــ مثل الشيعة ــ أولت عناية خاصة لشخصية **علي رضي الله عنه** ، حيث جعلوه على رأس قائمة الشيوخ والأولياء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنه أفضل الصحابة خلافاً لمعتقدِ أهل السنة في فضائل الصحابة، كما أولوا العناية **لأهل الصفة** من فقراء المهاجرين الذين كانوا يأوون إلى المسجد في المدينة ، لا أهل لهم ولا مال[42]، وللإشارة **بحق** فإن هؤلاء ــ أي أهل الصفة ــ وإن كانوا عباداً في الليل، مجاهدين في النهار، ويحبهم النبي صلى الله عليه وسلم، فإنهم **لم يفضلوا هذه الحياة طواعية** منهم، وزهدوا في الدنيا

المنارة للاستشارات
ww

كالخلفاء الأربع وغيرهم من فضلاء الصحابة ؛ بل **فرضت عليهم فرضاً** للخصاصة والقلة، ولا يعني هذا عدم وجود رواد الحياة الروحية في الإسلام فيهم ، أمثال سلمان الفارسي وأبي ذر الغفاريّ وأبي الدرداء وغيرهم ، ونشير أيضا أن الرسول عليه الصلاة والسلام **لم يخص علياً بالعلم اللّدُني** ، كما تدعي الصوفية والشيعة (فاعتنت الصوفية بابنه الحسن، والشيعة بابنه الحسين رضي اللّه عنهما)، **ولم يكن عليا** رضي اللّه عنه **معتكفاً متأملاً منعزلاً في خلوته ولا حث على ذلك** ، بل كان بطلاً شجاعاً مقداماً مجاهداً صاحب راية رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم في الوغى ــ فتى قريش ــ ، وكان معتزاً بسيفه الذي احتفظ به ولم يبعه إلا للضرورة، لظل يحارب عن حقه في الخلافة ويخالط دنيا الناس .[43]

وبمعنى آخر، فإن كل الخلفاء الراشدين ــ والصحابة ــ **ليسوا صوفية بحال** كما يحلو لصاحب كتاب (حلية الأولياء) "أبو نعيم الأصفهاني" أن يصف علياً وغيره من الخلفاء وكثيرا من الصحابة بذلك؛ بل الاسم المفضل عندهم والأقرب إلى اللّه تعالى **هو الصحابي** بدل الصوفي ، قال عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنه (سنة 4 بعد البعثة ــ 73هـ) : " من كان مستنا فليستن بمن قد مات أولئك **أصحاب** محمد صلى اللّه عليه وسلم كانوا خير هذه الأمة... قوم اختارهم اللّه **لصحبة** نبيه صلى اللّه عليه وسلم ونقل دينه..." [44] ، وعن أبي سعيد الخدري ــ سعد بن مالك ــ رضي اللّه عنه (ت 74هـ) أنه سمع النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم يقول: " لا تسبّوا **أصحابي**، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهبا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه" [45] .

إن فضائل أمير المؤمنين علي رضي اللّه عنه كثيرة جدا ، فقد تربى على يد النبي صلى اللّه عليه وسلم، وسمع القرآن من فيه عليه الصلاة والسلام ، وزوجه ابنة الرسول صلى اللّه عليه وسلم، وعايش كل أحداث السيرة الشريفة، **مما أثر في رسم معالم حياته وصَقْلِ نظرته للدنيا**، زهد فيها كإخوانه الخلفاء، يحبه أهل الدين ويُفضلونه في عصره على باقي الصحابة

المنارة للاستشارات
ww

ولذلك بايعوه بالخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه مظلوما عام (35 هـ) [46]، لذلك كان **بحق** هو وإخوانه الخلفاء قبله، يمثلون التربية القرآنية الخالصة، وهم ضمن العشرة المبشرين بالجنة، والذين أوصى النبي عليه الصلاة والسلام باتباع سنتهم [47]، وقد عظُم الرب جل شأنه في قلب علي رضي الله عنه وصغرت الدنيا في عينيه ، فكما قيل إذا عظم الرب في القلب صغر الخلق ـ وكل الدنيا ـ في العين ، وكان يخاطب الدنيا، يا صفراء و يا بيضاء غُري غيري ، ويأمر غلامه (قنبل) ليكنُسَ بيت المال ـ كناية على توزيع كل ما فيه على للمسلمين ـ ثم يدخل فيصلي فيه ركعتين شكراً لله [48].

وهكذا نجد **الزهد** هو دأب الصالحين الربانيين ـ العارفين بالله ـ والعظماء المؤثرين في غيرهم وهنا يذكر الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الحي الحسني الندوي رحمه الله (1333 ـ 1420 هـ / 1914 ـ 1999) رئيس علماء المسلمين بالهند: "أننا في التاريخ الإسلامي لا نعرف أحداً خلّفَ تراثاً خالداً في العلم والفكر والدين وظل قروناً يؤثر في الأفكار والآراء، إلا وله **نزعة في الزهد وتغلب على الشهوات، وسيطر على المادة ورجالها** ، ولعل السر في ذلك أن **الزهد** يُكسب الإنسان قوة المقاومة والاعتداد بالشخصية والعقيدة...." [49]

وكان علي رضي الله عنه ـ الزاهد ـ يحث الناس على تقوى الله ومراقبته وخشيته ، وكان شديد العبودية لله تعالى، يتقلب **بين الخوف والرجاء** : { إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين } " الأنبياء/90 "، وقد وصفه "ضرار بن ضميرة الكناني" لـ"معاوية بن أبي سفيان" ـ أمير الشام ـ رضي الله عنهما بقوله : " كان **يستوحش** من الدنيا وزهرتها، **ويستأنس** بالليل وظلمته ، وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضا لحيته يتململ في محرابه...، ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه الآن وهو يقول: "يا ربنا يا ربنا" يتضرع إليه ثم يقول للدنيا : "أبي تغرّرتِ ، أم إلي تشوّفتِ ، هيهات غري غيري قد بنتك ثلاثا ، فعمرك قصير ، ومجلسك حقير، وخطرك يسير، **آهٍ من**

المنارة للاستشارات
ww

قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق" فوكفت دموع معاوية على لحيته، وما يملكها وجعل ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال كذا كان أبو الحسن ، فقال معاوية : **وكيف وجدك عليه يا ضرار** ؟ قال : وجد من ذبح ولدها في حجرها لا يرقأ دمعها ولا يسكن حزنها ثم قام فخرج "[50]، كما كان رضي الله عنه يحذر من طول الأمل الذي **يقسي القلب** ومن اتباع الهوى : " إن أخوف ما أخاف عليكم إثنين : طول الأمل واتباع الهوى ، فأما طول الأمل **فينُسي الآخرة** ، وأما اتباع الهوى **فيَصُدُ عن الحق**"[51] .

هذا ومن الصحابة من أولى العناية **للتفكر والإعتبار**، أمثال "**أبي الدرداء**" عُوَيمر بن مالك رضي الله عنه (ت31 أو 32 هـ) كان يقول : تَفَكُّرُ ساعةٍ خير من قيام ليلة ، وتَذكُر عنه زوجُهُ أن أفضل أعماله **التفكر والإعتبار**، عاش في الشام مارس التجارة ثم تركها **ليتفرغ للعبادة والذكر**، وعندما شاهد إقبال الدنيا ومظاهر الترف على المسلمين ، حذَّر المسلمين من التكالب على الدنيا ووصفها بأنها **دار كدر لا ينجو منها إلا أهل الحذر**[52] ، ويعلم أن الابتلاء كفارة للذنوب لذلك يرضى به ويفضل الفقر تواضعاً لربه ويفضل الموت اشتياقاً إلى ربه، وينصح المسلمين بالعفو وكظم الغيض والبعد عن الهوى والشح المطاع ، وكلها معاني أخلاقية إسلامية رفيعة ، كما يفضل الابتعاد عن فتن الأسواق التي تلهي وتلغي، وهذا الانعزال منه ـ إن صح ـ خوفاً من الذنوب وشفقة على نفسه ، وإلا فقد مارس القضاء بالشام ، وكان يتابع أخبار الجند والغزوات في سبيل الله، ومن أقواله : " إنما تقاتلون الناس بأعمالكم " ، وقال عن الدنيا : " الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلا ذكر الله وما أدى إلى ذكر الله ، والعالم والمتعلم في الأجر سواء، **وسائر الناس همج لا خير فيهم** " ، وقد رفض أن يزوج ابنته الدرداء لـــ يزيد بن معاوية (25 أو27 ـ 64 هـ) ـ ابن أمير المؤمنين ـ وزوجها لرجل من ضعفاء المسلمين لأن ذلك **أصلح لدينها من حياة القصور** فسار ذلك في الناس ـ أي الكلام ـ أن يزيد خطب إلى أبي الدرداء فرده [53] .

المنارة للاستشارات
ww

والزهد والصلاح والتقوى كان سَمْتَ كبار الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين إلا **أن التاريخ ضَخَّم بعضهم أكثر من بعض**، مثلما كان من حال "**أبي ذر الغفاري**" رضي الله عنه (ت32هـ) الذي عارض كل مظاهر البذخ والكنز ويتمسك بالقرآن الكريم وبما أوصاه خليله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان أصدق لهجة خالصاً مُخلصاً يردد الآية محذراً الأغنياء : { والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم} "التوبة/34"، وللأسف الشديد اتخذه البعض (دعاة الإشتراكية والصوفية والشيعة) مَصْدَراً لأفكارهم كما ضخموا مسألة انتقاله من المدينة المنورة إلى الربذة ؛ وحقيقة الأمر أن الخليفة " عثمان بن عفان " رضي الله عنه قال له : " يا أبا ذر أقم عندنا تغدو عليك اللقاح وتروح " كأنه يريد أن يكرمه وقد كان فقيرا من أهل الصفة وهو من أهل السابقة ، فقال : " لا حاجة لي فيها ، وقال إن الربذة كانت لي منزلا فأذن لي أن آتيها فأذن له"[54] ، وفي الواقع أن الصحابي الجليل المتقي، **يخاف الحساب عن كل ما زاد عن الحاجة وينصح المسلمين بذلك** ، كان زاهدا صادقا، روى الترمذي في مناقب أبي ذر حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر شبه عيسى ابن مريم "، وقال الترمذي قد روى بعضهم هذا الحديث فقال " أبو ذر يمشي في الأرض بزهد عيسى ابن مريم "، وردَّ على من عرض عليه النفقة بأنني أخاف الحساب فيها، وكان يُذكِّرُ الناس بوصايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها : " إن خليلي عهد إلي أيما ذهب أو فضة أُوكِئَ ــ أي أُقفِل عليه وادُّخِرَ ــ فهو جمر على صاحبه يوم القيامة حتى يفرغه إفراغا في سبيل الله عز وجل[55] ، وعنده أن ذا الدرهمين أشد حساباً من ذي الدرهم الواحد، وكان يكرر نفس العبارة عند أخيه "أبي الدرداء": "إن بين أيدينا عَقَبَةً كَؤُود، إن المخفف فيها أهون من المثقل"، وكان يوصي المسلمين **بأن يصلُّوا في ظلمة الليل لوحشة القبور ، ويصوموا لحر يوم النشور، ويتصدقوا مخافة يوم عسير** ثم قال لهم : " إني لكم ناصح،

المنارة للاستشارات
ww

إني عليكم شفيق"، ومن أقواله رضي الله عنه : "... هل ترى الناس ما أكثرهم **ما فيهم خير إلا تقي أو تائب**" [56] .

وأما الصحابي الجليل ـ الباحث عن الحق ـ " **سلمان الفارسي** " رضي الله عنه (ت31 أو32 هـ) فقد كان يحبه النبي عليه الصلاة والسلام ويقربه، وقال في حقه : " سلمان منا أهل البيت " كان من أهل الصفة ، وهذا الصحابي تُولِيهِ الشيعةُ أيضا عناية خاصة، إلا أن زهد هذا الصحابي الجليل لم يكن على طريقة المجوس أو أهل الكتاب أو الهنود أو غيرهم، رغم مخالطته لديانات وثقافات شتى وهو الذي ـ في سيرته في البحث عن الحقيقة ـ مرّ بأطوار كثيرة حتى هداه الله تعالى إلى الإسلام وبايع النبي عليه الصلاة والسلام في المدينة المنورة في الأيام الأولى من الهجرة، كان يأكل من عمل يده، يخسف السِّلال وهو أميرٌ في حمص، ويتصدق بكل عطائه ـ خمسة آلاف درهم ـ ولما سمع بمبالغة أبي الدرداء في العبادة صياماً وقياماً أتاه فدله على **الإعتدال ، والسنة في ذلك فقال له :** " إن لنفسك عليك حقاً، ولربك عليك حقاً، وإن لأهلك عليك حقاً ، فأعط لكل ذي حق حقه " [57] ، وقد أحيا رضي الله عنه السنة في ذلك ، فعندما شكت زوج "عثمان بن مضعون" رضي الله عنه (ت 3هـ) إلى أمنا "عائشة " رضي الله عنها بأن "عثمان" لا حاجة له في النساء يصوم نهاره ويقوم ليله، فأرشد عثمان إلى السنة **والإبتعاد عن الرهبانية** لأنه همّ هو وأبو ذرّ **أن يختصا ويتبتلا** فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسماه النبي صلى الله عليه وسلم عندما توفي وصلى عليه ودفنه **السلف الصالح** ووضع حجرا يسم موضع قبره، وهو أول من دفن بالبقيع من الصحابة [58] ؛ هذا وقد همّ جماعة من خيار الصحابة منهم :" أبو بكر وعلي وابن مسعود وعبد الله بن عمر وسالم مولى أبي حذيفة وعبد الله بن مقرن والمقداد بن عمرو ومعقل بن مُقرّن أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يقربوا النساء ولا يأكلون اللحم واجتمعوا في دار عثمان بن مضعون رضي الله عنهم أجمعين فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك [59] وكان ذلك سبب نزول الآيات : { يا أيها

المنارة للاستشارات
ww

الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولاتعتدوا ....وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون } (المائدة 87 ـ 88) [60] .

وحتى الولاة من الصحابة ضربوا أروع الأمثلة في الزهد والإخلاص والخوف من الله ومحاسبة النفس، فهذا " **عُمير بن سعد الأنصاري** " رضي الله عنه (توفي في خلافة عمر)، كان من الولاة الزهاد فلما استعمله الخليفة "عمر بن الخطاب" على حمص ـ وكان من عادة عمر محاسبة الوُلّاة ـ دعاه إلى المدينة المنورة فما لبث أن قدم عليه ماشياً حافياً بلا دابة ومعه عكازته ومزودته وقصعته على ظهره وتعجب لأمره عمر عندما رآه فسأله : " ما معك من الدنيا ؟ قال : **عكازة** أتوكأ عليها وأدفع بها عدوي إذا لقيته، **ومزودي** أحمل فيه طعامي ، **وأدواتي** هذه أحمل فيها ماء لشربي وصلاتي، **وقصعتي** هذه أتوضأ فيها وأغسل فيها رأسي وآكل فيها طعامي ، **والله يا أمير المؤمنين ما الدنيا بعدُ إلا تبع لما معي**، فقام عمر من مجلسه بالمسجد إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر **فبكى** ثم قال : **اللهم ألحقني بصاحبَيّ غير مفتضح**، وقد حاول عمر أن يرده إلى منصب الولاية بحمص فأبى رضي الله عنه ـ خوفاً من الله ـ وناشده الله أن يعفيه فأشفق عليه عمر، وبعث له ـ بعد ذلك ـ بمئة دينار يستعين بها ففرّقها على فقراء المهاجرين والأنصار، كذلك فعل بـــأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه (ت 18 هـ)، وبمعاذ بن جبل رضي الله عنه (ت 18 هـ) أوصلهم بمال ففرقوه جميعا على الفقراء، ولذلك قال عمر: " **إنهم إخوة بعضهم من بعض** "[61]؛ هؤلاء هم الذين اختارهم الله لصحبة نبيه الخاتم صلى الله عليه وسلم، ولحمل لواء الإسلام وتبليغ دعوته، كما ذكر أبو الحسن الندوي رحمه الله (ت 1400هـ) ؛ كانوا ربانيين حقا وصدقاً ، كرماء رحماء ، يفرون من الدنيا والمناصب وهي تلاحقهم، ولو أنهم قادة وولاة فهم يعيشون مع عامة الناس لا يتميزون عنهم كما كان من شأن الصحابي الوالي " **سعيد بن عامر** " (ت 20 هـ) رضي الله عنه من الصحابة المشهورين **بالزهد**، ولما قدم عمر الشام وطاف بِكُوَرِها ونزل حمص فقال :

المنارة للاستشارات
ww

" اكتبوا إليَّ فقراءهم " فرفعوا إليه الرقعة وفيها **اسم أميرهم** فتعجب أمير المؤمنين عمر **كيف يكون الأمير فقيرا** ؟ فقالوا : إنه لا يمسك شيئاً **فبكى** عمر رضي الله عنه وأرضاه وبعث إليه **بألف دينار** يستعين بها فجعل سعيد بن عامر يسترجع ـ إنا لله وإنا إليه راجعون ـ فتعجبت امرأته هل حلت به مصيبة ، فقال لها : أعظم من ذلك ، دخلت عليَّ الدنيا وإني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين عاما فوالله ما يسرني أني حُبست عن الرعيل الأول وأن لي به ما طلعت عليه الشمس ، فبات يصلي ويتضرع إلى الله ويبكي رغَبا ورهَباً ، وفي الصباح أمضاها كلها إلى جيش من جيوش المسلمين ، فقالت امرأته : رحمك الله لو حبست منها شيئا نستعين به فقال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " لو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ريحا ولنصيفها خير من الدنيا وما فيها " ، ـ ثم قال لها ـ إني ما أختارك عليهن فسكتت [62]، ونحن هنا ـ في هذه المقالة ـ نذكر فحسب بعض الشواهد الجليلة من حياة الرعيل الأول ونظرتهم للدنيا وللقيم وهو السبب في سيادتهم وتمكينهم .

ومن الولاة الزهاد أيضا " **أبي عبيدة بن الجراح** " أحد المبشرين بالجنة (ت 18) أمير الجيوش في الشام ، فلما قدم عليه الخليفة عمر بن الخطاب قال لأبي عبيدة : " إذهب بنا إلى منزلك ، قال أبو عبيدة : ما تريد إلا أن تغض عينيك عليَّ، فدخل منزله فلم ير شيئاً فقال عمر: **أين متاعك ؟ لا أرى إلا لبداً وشناً وصفحة** ـ بساط من صوف ـ **و قربة ماء، وإناء وأنت أمير !** أعندك طعام؟ فقام أبو عبيدة إلى جونة ـ سلة صغيرة ـ فأخرج منها **كسيرات يابسة فبكى** عمر فقال أبو عبيدة : قد قلت لك إنك تغض عينيك عليَّ ، ثم قال له : " يا أمير المؤمنين **يكفيك من الدنيا ما بلغك المقيل" يا له من شعار عظيم** يدندن حوله كبار الصحابة وفضلائهم الصالحين، فهم **أولياء الله** الذين اختارهم الله لصحبة نبيه وتبليغ دينه ، فقال عمر : " غرتنا الدنيا بعدك يا أبا عبيدة "، نعم إنهم **أمناء الله** في أرضه فهم الرجال حقاً لا غير، ولما طُعِنَ عمر رضي الله عنه

المنارة للاستشارات
ww

(**سنة** 23هـ) أراد أن يستخلف أحد الرجلين لو كانا حيين : أبو عبيدة بن الجراح (ت 18هـ)، أو سالم مولى أبي حذيفة (ت 11هـ) ، رضي الله عنهم أجمعين [63].

وفضائل عمر الخليفة الزاهد ، العالم العادل الناصح ، كثيرة جدا نوصي بمراجعة كتاب الصلابي في سيرة عمر ، وكتاب ابن الجوزي في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (هامش) ، وقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر بالجنة ففي حديث عبد الله بن مسعود (ت32 هـ) رضي الله عنه أن النبي صلى الله عيه وسلم قال: "يطلع عليكم رجل من أهل الجنة" فاطلع أبو بكر، ثم قال: "يطلع عليكم رجل من أهل الجنة" فاطلع عمر" [64]، وننهي هذه الصورة المشرقة لنظرة الصحابة إلى الحياة والقيم الإسلامية بالإشارة إلى أحد القراء الولاة الزهاد وهو" **أبو موسى الأشعري ـ عبد الله بن قيس ـ** " رضي الله عنه (ت 50 أو 52) الذي كان **واليا على البصرة** حيث اختاره الخليفة "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه لهذه المدينة العامرة التي تشكل مزيجا من الشعوب المختلفة من أجل إقامة أمر الإسلام فيها وتعليم سكانها القرآن الكريم والسنة النبوية، ونظرا لموقع المدينة فقد **أترف أهلها** وكثرت تجارتهم وظهرت فيها دواعي **اللهو والغناء وفتنة المال** مما أدى بالمقابل إلى بروز **العبادة والزهد** وكان يقال **الفقه كوفي والعبادة بصرية** ؛ وهذا الصحابي الجليل الذي يحبه الرسول صلى الله عليه وسلم صبغ البصرة **بصبغة روحية أخلاقية عالية** ، وقد جعل مسجد البصرة مركزا لنشاطه العلمي فبعد أن يؤُمّ الناس في صلاة الصبح يقبل عليهم ليعلمهم ويضبط لهم قراءتهم للقرآن الكريمت، واشتهر بين الصحابة بحسن قراءته وجمال صوته ولذلك يجتمع الناس لسماع قراءته ، وقد شهد له بذلك النبي عليه الصلاة و السلام بقوله له حين سمعه : " لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داوود " [65] ، وقد كان القرآن الكريم شغله الشاغل فعندما سأل عمر" أنس بن مالك" رضي الله عنه عن الاشعري وكيف تركه ؟ قال له : " تركته يعلم الناس القرآن فقال عمر أما إنه

المنارة للاستشارات
ww

كَيِّسُ، ولا تُسْمِعهَا إياه "، ويحرص على تعليم الناس أمور دينهم حتى في خروجه مع الجيش للجهاد، وقد قرت عينه برؤيته عددا كبيرا من حفاظ القرآن الكريم وعلمائه حوله حيث زاد عددهم على **الثلاثمئة حافظا** ؛ ولما طلب الخليفة عمر بن الخطاب من الولاة أن يرفعوا إليه أسماء حفاظ القرآن الكريم ليكرمهم ويزيد في عطائهم كتب إليه أبو موسى أنه بلغ من قبلي ممن حمل القرآن **ثلاثمئة وبضعة رجل [313 رجلا]** [66] ، وهذا يعني أنه **أول صحابي في الإسلام يشرف على هذا العدد الكبير من حفاظ القرآن الكريم وضبط قراءتهم** وذلك فضل عظيم جداً فلماذا إذن لا يذكر ضمن كبار الصحابة الفقهاء القراء الربانيين وقد كان قاضيا ومعلماً ووالياً زاهدا ؟ وفي خضم انشغال الناس بالدنيا يسأل " أنس بن مالك " وكان معه في البصرة : "يا أنس ما أبطأ الناس عن الآخرة وما ثبّطَهُم عنها ؟ قال : الشيطان والشهوات ، قال : لا والله ولكن عُجلت لهم الدنيا وأُخِّرت الآخرة **ولو عاينوا ما عَدَلُوا** "، وكان رضي الله عنه **يبكي** عند ذكر النار وأهوال القيامة ويحذر الناس والقراء **من سطوة المال** : " إنما أهلك من كان قبلكم هذا الدينار وهذا الدرهم **وهُمَا مُهلِكاكم** " [67] ، وقد صدق رضي الله عنه لأن المال فتن كثيرا من الناس حتى الفقهاء والقراء منهم ، وتحذيره هذا ما هو إلا **امتداد لزهد النبي** عليه الصلاة و السلام **وحياته الروحية** ، وهكذا **ترك أبو موسى رضي الله عنه ملامح حياته على كثير من رواد الحياة الروحية في البصرة وأصبح البكاء بعده والخوف من سمات العُبّاد والزُهّاد في البصرة** ، وأكبر ممثل لكل ذلك بعده، تلميذه الفذ "عامر بن عبد قيس" رحمه الله .

الحياة الروحية في حياة التابعين وأقوالهم :

ذكرنا أن التابعين بإحسان مدحهم الله تعالى حيث كان فضلهم كبيرا على الثقافة الإسلامية، لأنهم نقلوا لنا علم الصحابة وكل الشرع الحنيف، ونحاول في هذه المقالة أن نستشهد ببعضهم فحسب، ويقابلنا في البداية **سيد التابعين** كما يسميه الإمام أحمد بن حنبل وهو" **سعيد بن المسيّب رحمه الله**

المنارة للاستشارات
ww

(46 - 95هـ) من كبار التابعين بالمدينة المنورة وقد حاول ترسم طريقة الصحابي عبد الله بن عمر (ولد عام 2 بعد البعثة ــ توفى 73هـ) في تمثل سنة النبي عليه السلام ومنهجه في العبادة والحياة الروحية عامة ؛ حيث حافظ على صلاة الجماعة حتى في أيام الفتنة بالمدينة ــ موقعة الحرة عام 63 هـ ــ التي استباح فيها جيش الشام مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويصلي وحده في المسجد حتى رماه الناس بالجنون من شدة مغامرته بنفسه ، ويقال أنه مدة أربعين سنة وهو يصلي في الصف الأول وما رأى عقب رجل في الصلاة ماعدا الإمام، والعبادة الحقيقية كما يراها ، **إنما التفكر في أمر الله والورع عن محارم الله**، والعزلة ــ أحيانا ــ تتيح الفرصة أكثر لهذه العبادة ، وتظهر صورة زهده في متاع الدنيا أكثر في **رفضه تزويج ابنته من ابن الخليفة** الأموي الوليد بن عبد الملك وزوجها لطالب علم فقير في حلقته بالمدينة **على درهم واحد** ضارباً بذلك أروع الأمثلة للناس **في رفض بهرجة الدنيا وزينتها**، مثل الصحابي أبي الدرداء كما ذكرنا آنفا ، **ورفض أخذ العطاء من الحكام** وسار في طريق **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى آخر حياته** رحمه الله ولم يخف في ذلك لومة لائم ، تلكم هي الحياة الروحية الإيجابية في الإسلام والتي يجب إحياؤها بحق .

كما نجد معالم الحياة الروحية الصافية عند العالم المفسر الزاهد "**مجاهد بن جبير**" رحمه الله (21هـ ــ 104 هـ) حيث عند هؤلاء يجتمع العلم والفقه والعبادة والتقوى ؛ **فالخوف الحقيقي عنده هو الذي يمنع من المعاصي، والقنوت هو غض البصر وخفض الجناح من رهبة الله ، والقلوب تكدر بالمعاصي فتتكمش وتنقبض كما يقبض الكف الأصابع** ، والعبد الذي كان همه الله ويعمل لآخرته يكفيه الله أمر دنياه وآخرته ويسخر الخلق له ، فعندما ينال العبد حب ربه يلين له الخالق وقلوب العباد، يقول مجاهد رحمه الله: "**إن العبد إذا أقبل على الله بقلبه أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه**"، وكان يتوجه رحمه الله إلى المعاني لا إلى المباني، المعاني الوجدانية : "**فالفقيه عنده هو من يخاف الله وإن قل علمه، والجاهل من عصى الله وإن كثر علمه**"،

المنارة للاستشارات
ww

فالعبرة إذن بالتطبيق والعمل الصالح ولذلك مات رحمه الله في عبادته وهو ساجد لله [68].

ومن خيار التابعين الزهاد الصالحين **أويس القرني** رحمه الله (ت73هـ) من مراد من اليمن البار بأمه ، اشتهر بالزهد والعزلة، وكان الإمام أحمد بن حنبل يضرب به المثل في الزهد فيقول :**لا زهد إلا زهد أويس** ، بلغ به العري حتى قعد في قصوره، ويسميه إسحاق الشاطبي (ت 795 هـ) **سيد العباد بعد الصحابة** ، فهو في شغل دائم عن نفسه **بالخشية من الله**، يخر مغشياً عليه حين يمر على آيات الوعي، وكان رحمه الله وقّافاً عند الحدود، ولاقى العنت من الناس، يقول: "**إن قيام المؤمن بأمر الله لم يُبْقِ له صديقاً**" ، وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبحث عنه في أمداد اليمن ليستغفر له*، وهنا يذكرنا بما كان من أمر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه الذي عاش وحده ومات وحده، إلا أن عزلتهما لم تمنعهما من الإشتراك في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ومثل ذلك ما كان من أمر العابد الزاهد **صلة بن أشيم** (ت177هـ) الذي استشهد هو وابنه في سبيل الله ؛ وهنا تظهر لنا حقا الحياة الروحية الإيجابية في الإسلام [69] ، ولنا وقفة أيضا مع شخصية روحية بارزة في البصرة غفل عنها كثير من الناس ، وربما غطى عنها وعن غيرها إمام البصرة الشهير في عصره " **الحسن البصري** " رحمه الله (21- 110هـ) هذه الشخصية هو : "**عامر بن عبد قيس** " (توفى في زمن معاوية) تلميذ أبي موسى الأشعري الصحابي الجليل ؛ ويذكر ابن الأثير أنه كان **أعبد أهل زمانه** وأشدهم اجتهاداً لاقى عددا من الصحابة لكنه لم يكثر الرواية بل اتجه **نحو القرآن والعبادة** كما يقول الإمام ابن حنبل: "...إذا صلى الصبح، تنحى في ناحية المسجد فقال من أُقرئه قال فيأتي قوم فيقرئهم، حتى إذا طلعت الشمس قام يصلي إلى أن ينتصف النهار... فإذا صلى العصر تنحى في ناحية المسجد ، فيقول من أُقرئه قال فيأتيه قوم فيقرئهم حتى المغرب ويظل في المسجد حتى يصلي العشاء الآخرة ثم يرجع

المنارة للاستشارات
ww

إلى منزله ...، **يقضي النهار كله في المسجد وهو صائم يقرئ الناس القرآن** مثل أستاذه، ثم أقبل على الآخرة وترك الدنيا، قال : "وجدت أمر الدنيا تصير إلى أربع: **المال والنساء والأكل والشرب** ، فلا حاجة لي في المال والنساء ؛ فأما النوم والأكل فأيم الله لئن استطعت لأضرن بهما " [70] .

وكانت **سمة الخوف** بارزة على العباد في القرن الأول خاصة في البصرة يقول عامر بن قيس : "ما رأيت مثل الجنة نام طالبها وما رأيت مثل النار نام هاربها " [71]، وبعد الزهد والعبادة والخوف تأتي **مرحلة البكاء** عند رواد الحياة الروحية في الإسلام ، فكان عامر يضرب بيده على عينه ويقول جامدة شاخصة لا تندى ، وبعد ذلك يتدرج في سلوكه إلى الله فيصل إلى مرحلة عالية وهي **مرحلة الحب** يقول عن نفسه : " أحببت الله عز وجل حباً سهّل عليّ كل مصيبة ورضّاني في كل قضية فما أبالي مع حبي إياه ما أصبحت عليه وما أمسيت"، وقد يكون عامر **أول مُحِب** بهذا المعنى من الزهاد في القرن الأول الهجري، الحب الذي يورث اليقين وهو غاية السالكين [72].

ونحاول الآن الإشارة باقتضاب إلى إمام البصرة في عصره " **الحسن بن أبي الحسن البصري أبو سعيد** " رحمه الله (21- 110هـ) إمام في الفقه والعلم والزهد، كان ورعاً متألهاً معتدلاً قائما بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مواعظه تصل إلى القلوب وقد احتل مكانة ممتازة في قلوب المسلمين، **إلا أن الصوفية وضعوه في سلسلة شيوخهم وألبسوه الخرقة على يد الإمام علي كرم الله وجهه وأنطقوه بما لم يقله**، وقد تعرض لكل ذلك المرحوم إحسان عباس في كتابه القيم عن الحسن البصري، وكان الحسن **حقا تابعيا بإحسان ، فلابد من الإيمان والعمل** ولما سئل عن الإيمان أجاب السائل: "إن كنت تسأل عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله.... فأنا مؤمن، وإن كنت تسأل عن قوله تعالى: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا} " الأنفال4/2 "، الله أعلم أنا منهم أم لا " [73] .

المنارة للاستشارات
ww

ولذلك الحسن البصري ـ الفقيه ـ **لا يحب الشهرة ، فينهر الذي يلبس المرقع أو الصوف** ، قال لـــفرقد السبخي (ت 131هـ) لما رآه بجبة من الصوف : "يا ابن أم فرقد... **إن التقوى ليست في هذا الكساء إنما التقوى ما وقر في القلب وصدقه العمل والفعل** " ، وهو نفس المنهج الذي سار عليه الإمام مالك بن أنس رحمه الله (93 ـ 179هـ) حيث أجاب عن لباس الصوف : " **لا خير في الشهرة ومن غليظ القطن ما هو في ثمنه وأبعد من الشهرة**" [74].

ويأبى الإمام العالم الغلو في الدين ؛ إذ أن دين الله **فوق التقصير ودون الغلو** وعلى المؤمن أن يأخذ الأدب من الله فإذا أوسع عليه أوسع وإذا أمسك عليه أمسك ، ولنسمع لرأيه في الفقيه الحق يقول : "الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه ، الورِعُ الكافُّ عن أعراض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعاتهم" [75] ، وربما ينطبق عليه هذا التعريف حقاً، حيث أدى دوره كإمامٍ للمسلمين، فنصح لله وللرسول ولعامة المسلمين وأئمتهم ، وينشر العلم الشرعي ، فعندما كتب إليه الخليفة الأموي الزاهد عمر بن عبد العزيز رحمه الله (ت101 هـ).

ـ الذي جمع بين الرياسة وأعمال القلوب ـ كتب إليه أن يعظه، فرد عليه الحسن: "..أما بعد فإن رأس ما مُصلِحك ومُصلِح به على يدك **الزهد في الدنيا**، إنما الزهد باليقين، واليقين بالتفكر، والتفكر بالاعتبار، فإذا أنت تفكرت في الدنيا لم تجدها أهلا أن تبيع بها نفسك، ووجدت نفسك أن تكرمها بهوان الدنيا، **فإن الدنيا دار بلاء ، ومنزلة غفلة** "[76].

حقاً، **الصلاح كل الصلاح في التعاون على الحق بين العلماء الربانيين والأمراء الصالحين** فتصلح كل الأمور كما كان من شأن سلفنا الصالح الذي ينصح بعضهم بعضاً فنهجوا طريق **الـ لا خروج ولا كتمان**** ، الرأي الذي نجده عند الإمام الطرطوشي رحمه الله (451 ـ 520هـ)، فالخليفة السادس **عمر بن عبد العزيز** كما يلقبه الإمام الطرطوشي في كتابه (سراج الملوك) ، كان يقرب إليه العلماء النبلاء الصالحين أمثال : **رجاء بن حيوة**

المنارة للاستشارات
ww

(ت 112 هـ)، **وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب** (ت 106 هـ) ، **ومحمد بن كعب القرظي** (ت108 هـ) ، فكان حكمه وعدله وزهده يُضرَبُ به المثل بعد الخلفاء الراشدين، حتى كان الرجل في زمنه يلقى أخاه فيسأله : **كم وردك، متى تختم، ماذا صليت البارحة ، كيف يحفظ فلان وأمثال ذلك**، بينما في عهد أهل الدنيا يسأل بعضهم البعض عن **السراري والأنكحة، والأطعمة الدقيقة، ويعمرون مجالسهم بذكر ذلك**، كما كان السؤال في عهد **سليمان بن عبد الملك** (ت 54 ــ 99هـ)، أما في عهد الوالي **الظالم الحجاج بن يوسف الثقفي** (40 ــ 95 هـ) كان السؤال: على من قبض، ومن قتل البارحة ؟ ومن صلب ؟ ومن جلد ؟ ومن قطع ؟، وأمثال ذلك [77]، **يا ليت شعري، أين هم العلماء الربانيون الذين يحيون هذا السلوك الروحي وهذا الخوف من الحساب في قلوب الساسة والولاة** ؟ حتى تصلح أحوالنا كما صَلُحَت أحوال سلفنا، ورأس الأمر كله **العلماء الربانيون** كما يقول الطرطوشي، وتلميذه ابن العربي، والغزالي، والعز بن عبد السلام وغيرهم من العلماء الصالحين، فالإمام الحسن البصري رحمه الله ضمن هؤلاء **الصالحين المصلحين** الذين يستحيون من الله حق الحياء ويخافون سوء المنقلب ، فالعلماء عنده هم الذين يذكّرون الناس ويخوفونهم، يقول: " لو أن بالقلوب حياة لو أن بالقلوب صلاحاً لأبكتكم من ليلة صبيحتها يوم القيامة "، ولذلك كان شديد الخوف والحزن حتى قيل : " يخرج إلى الجبّانة ليتذكر أكثر مصير الحياة الدنيا، **وكأنما النار ما خلقت إلا لأبي سعيد** "، ويبرر هذا الحزن أيضا بقوله : " يحق لمن يعلم أن الموت مَورده، وأن الساعة مَوعده، وأن القيام بين يدي الله تعالى مشهده أن يطول حزنه"[78]، وهكذا، **مَهّدَ الإمام لظهور مدرسة صوفية كبيرة بالبصرة** كما يقول النشار .

ولا ننسى أيضا النساء الزاهدات العابدات في عصر التابعين ذكرهن الجاحظ ــ عمرو بن بحر ــ (ت 255 هـ) في كتابه البيان والتبيين، وذكرتهن سعاد عبد الرازق بكثير من التوسع في كتابها الرائع **الحياة الروحية لدى**

المنارة للاستشارات
ww

نساء الإسلام ، ونذكر منهن **معاذة العدوية رحمها الله** (ت 83هـ) زوجة صلة بن أشيم الزاهد العابد المجاهد، فكانت معاذة من كبيرات العابدات الناسكات بالبصرة ـ شاركت في رواية الحديث ـ، وكانت تقول : عجبت لعين تنام وقد علمت طول الرقاد في ظلم القبور، وإذا جاء النهار تقول : "هذا يومي الذي أموت فيه" فما تنام حتى تمسي، وإذا جاء الليل قالت : "هذه ليلتي التي أموت فيها" فلا تنام حتى تصبح، وكانت رحمها الله عابدة محبة لله ومحبة لزوجها طائعة له حيث تستأذنه أن يدعها لتقوم الليل وفي ذلك يقول الأستاذ النشار رحمه الله: "وكل هذا يؤكد لنا عظم **الخلاف** بين العابدات المسلمات والراهبات وبين العابدين المسلمين وبين الرهبان ، ثم يقول : ولم تكن هذه العبادة من نوع الرهبنة...، وإنما كانت تصفية روحية وقد كان لصلة بن أشيم ولمعاذة أبناء" [79]، ومن العابدات الزاهدات **شعوانة، ورابعة ابنة إسماعيل ـ رابع العدوية ـ ، وأم عثمان ابنة سوداء الطفاوي، وعمرة الفارسية** زوجة حبيب العجمي ، **وحيونة** التي أثرت في **رابعة العدوية**، وكانت من الأوائل الذين نادوا بالمحبة الإلهية تقول: "من أحب الله أنِس ومن أنِس طَرِبَ ومن طرِب عرَف ومن عرَف قرُب ومن قرُب لم يرقد وتصورت عليه بوارق الأحزان" [80] .

وهكذا تفرعت المدارس العلمية والفكرية في الإسلام عن التابعين رحمهم الله، ومن هؤلاء العباد الزهاد أيضا : هرم بن حيان، الربيع بن خيثم ، مسروق بن الأجدع، أبو مسلم الخولاني، سعيد بن جبير، أبو عثمان النهدي ، وقتادة الدوسي، وبلال بن سعد، ومالك بن دينار، ومحمد بن واسع، ومحمد بن سيرين ، والأسود بن قيس ، وعلقمة بن قيس ..وغيرهم [81] .

الخاتمة: (ضرورة إحياء الحياة الروحية الصافية في الإسلام)

مما لا ريب فيه أن الإنسان مزيج من الروح المتعالية الصافية، والطين الكثيف الناقص، فسبحان الذي مزج اللطيف بالكثيف، والإنسان المقبل بكليته على المادة ـ الجسد ـ تُلِحُّ عليه حاجة الروح والأخلاق الإنسانية الفاضلة صباح مساء، وأكبر دليل على ذلك حياة الإنسان المتسمة بالقلق

المنارة للاستشارات
ww

والأرق والطمع والخوف والجزع والتنافس الدائم والمستمر على الحطام الفاني، وخاصة في عصر التفنن في دواعي الشهوات وإثارتها بمختلف الوسائل المتطورة، ونجم عن كل ذلك مختلف الموبقات من مخدرات، وقمار، وخلاعة، ودعارة، وشعوذة، و ربا، وشركيات، وانتحار، وسرقة، ونهب، وإرهاب، وحروب ودمار، وبكاء ودماء، وأحزان ومآسي متوالية، وتفكك أسري واجتماعي وقلة النصح والإخلاص، وشيوع التدين المغشوش، والجهل...، **فأصبح الإنسان في تشاؤم مستمر ونكد وضنك وهلع وغموم وهموم**...،فكأنما قُدِّرَ عليه الشقاء المحتوم، فكثرت المستشفيات النفسية وامتلأت السجون وما زال التسابق على التسلح والتسلط على أشده والتعالي على خلق الله ، والفرح والمرح في الأرض بغير الحق ...، ـ إلى الله الشكوى ـ فإلى أين أيها الإنسان الجاحد المغرور ؟ ! ولقد كان صفوة البشر من الأنبياء والصحابة والصالحين زُهَّاداً وكان المجددون والدعاة على جانب كبير من الأخلاق العالية والعبادة الخالصة على طريق الشرع ، فالاتصال بالله هو بسلوك هذا الطريق ، والانفصال عن الله هو من انفصل عن شرع الله وسيرة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ سفينة النجاة ـ ، **والحياة الروحية المطلوبة كضرورة ملحة في حياة العصر هي إحياء مبادئ الإستقامة التي كان عليها السلف الصالح، والتابعين لهم بإحسان، والتزام التقوى و إحياء الزهد والعبادة والخوف والرجاء والمراقبة والذكر والصلاة والعبادات المفروضة والتقرب إلى الله بكل ما شرع من الفرائض والإعتراف بنعمه وأداء شكرها**، وما أحسن ما دعا إليه الإمام "ابن قيم الجوزية " رحمه الله (691 ـ 751 هـ) **في الحاجة إلى اكتمال القوة النظرية العلمية والقوة العملية السلوكية في المؤمن وهو ثمرة الإخلاص والصواب وبهما تتم السعادة** ، وقد وضع **كتاباً هاما** في الدعوة إلى **إحياء منهج السلف الصالح** في الحياة والقيم الروحية سماه "مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين"، وأصل الكتاب للإمام " أبي إسماعيل عبد الله الهروي الأنصاري " رحمه الله (348-396 هـ) الذي ذكر فيه مئة منزل في الآداب الروحية الباطنية؛ **ولابد لأهل الاختصاص من النظر بجدية** -في رأينا- **إلى كيفية**

المنارة للاستشارات
ww

تجديد علم التصوف السني منهجاً وموضوعاً، في ثوب علمي وروحي متزن، وإبعاد كل ما نُسب إلى التصوف ظلما وزوراً من المغرضين والحاقدين، قصد إبعاد الناس عن هذا السلوك الرباني النبيل، وإبعاد كل صور الشرك ، من التوسل بالمشايخ والأضرحة والتواكل والأوراد والأذكار التي لم تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، **ولا مارسها الصحابة** رضوان الله عليهم، **وإبعاد فكرة "وحدة الوجود"، و"الاتحاد والحلول"، و"إطلاق أسماء الأقطاب" و"الغوث" و"ادعاء أن للأولياء والأئمة دخل في تسيير أحداث العالم" وما إلى ذلك من أمور مثل التهاون في الصلاة للمتقدمين في المعرفة الإلهية ، والاختلاط بين الرجال والنساء في بعض المواسم والمناسبات الدينية، والركون إلى الكسل وعدم الأخذ بالأسباب الشرعية و... ، مثل كل هذه الأمور لا تستقيم والشريعة الإسلامية والعلم والمنطق السليم.**

من خلال ما سبق تبين أن الحياة الروحية - **الزهد** - لدى عرب الجاهلية - خاصة الحنفاء منهم - غير مقتبسة من المسيحية أو غيرها من الأديان، وأن القرآن الكريم دعا في معظم آياته إلى معرفة الله وتوحيده وعبادته وفق ما شرع باتباع النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم، ورغّب في حياة الخلود، ورغب عن هذه الحياة الزائلة لأنها لعب ولهو وظل زائل، واتضح أن خير ممثل للحياة الروحية في الإسلام النبي محمد صلى الله عليه و سلم ؛ إذ كان قرآنا يمشي فكانت سيرته في الحياة تطبيقاً عملياً لدعوة القرآن الكريم ؛ واقتفى أثره الصحابة ووجدنا في حياة وأقوال هؤلاء الصحابة، مما ذكرنا في هذا البحث، مصدرا عمليا للحياة الروحية في دين الإسلام .

وكذلك سيرةُ وأقوالُ بعض التابعين الذين أشرنا إليهم، تدل بكل وضوح على حياة الزهد والعبادة النقية الصافية على نهج الإسلام الصحيح ، وبدا لنا أن من الضروري بعد هذا العرض المجمل للموضوع، العملُ بجدية على إحياء الحياة الروحية المعتدلة في الإسلام - التصوف السني - وذلك بالأخذ بالأصول وما ثبت في حياة السلف الصالح.

المنارة للاستشارات
ww

ويبدو، أنه آن الأوان لتنقية كل الشوائب العالقة بهذا العلم ، وإبعاد كل المنتسبين إليه زوراً وبهتاناً ، من الدنيويين الذين **يرتزقون بالدين**، يقول أبو حامد الغزالي رحمه اللّه: "لئن أرتزق بالرقص خير لي من أن أرتزق بالدين" ، وإبعاد كل الخرافات والخزعبلات التي لا تستقيم لا مع الشرع الحنيف ولا مع العقل والمنطق السليم ولا مع العلم والعصر...

والصحوة الإسلامية تحتاج اليوم أكثر من ذي قبل إلى إحياء سيرة السلف الصالح ونظرتهم للحياة والقيم حيث التدين الصحيح الخالص الذي يقرب إلى اللّه حقاً، وتغييب كل صور التدين المغشوش **فلا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها**.

المنارة للاستشارات
ww

المصادر والمراجع:

1. هو: عثمان بن مظعون : بن حبيب أخ الرسول صلى الله عليه وسلم من الرضاعة (أبو السائب) كان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا، وهاجر الهجرتين، كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في معركة بدر ، كان من فضلاء الصحابة، كثير العبادة، هَمَّ هو وعلي وأبو ذر أن يختصوا ويتبتلوا فمنعهم النبي صلى الله عليه و سلم ، السيرة النبوية، ابن كثير، ط /دار إحياء التراث العربي، بيروت 1 / 30 ـ 31.
2. التصوف الإسلامي مدارسه ونظرياته، محمد جلال شرف، ط/دار العلوم العربية، بيروت 1410هـ، ص/35-45، السيرة النبوية، ابن كثير، ط /دار إحياء التراث العربي، 122/1.
3. تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ط /المنيرية، القاهرة، ص/ 62 .
4. السيرة النبوية، ابن كثير، م س، 4 / 16 ـ 163، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي النشار، ط / دار المعارف1387 هـ ـ 1969، 1 / 239، 3 / 85 ـ 86.
5. السيرة النبوية، م س، 1 / 499 ـ 502.
6. السيرة النبوية، ابن هشام، ط / دار الرشيد الجزائر 1432هـ ـ 2011، ص / 115 ـ 120، وذكر الحنفاء أيضا عبد الحليم محمود في كتابه، التفكير الفلسفي في الإسلام، وغيره.
7. نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، عرفان عبد الحميد، دار الجيل، بيروت 1412 ص/40 .
8. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، م س ، 91/3 ـ 92 .
9. المقدمة، ابن خلدون، ط/، فصل التصوف.
10. البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي ، ط / المكتبة العصرية بيروت ، ب ت، 2 / 110 ـ 111 .
11. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، ترجمة زيد بن عمرو بن نفيل رحمه الله، ط / 1 دار مصر للطباعة 1424 هـ ـ 2001، 7 / 201 ـ 202 ، وذكر الطبري في تاريخه عن زيد بن عمرو بن نفيل ما يفيد أنه ينتظر خروج نبي من ولد إسماعيل ، قال الطبري "... وعن عامر بن ربيعة أنه قال : سمعت زيد بن عمرو بن نوفل يقول :أنا أنتظر نبيا من ولد إسماعيل ثم من بني عبد المطلب، ولا أراني أدركه، وأنا أؤمن به وأصدقه وأشهد أنه نبي، فإن طالت بك مدة فرأيته فأقرئه مني السلام، وسأخبرك ما نَعْتُه حتى لا يخفى عليك قلت هلم قال: هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ولا بكثير الشعر ولا بقليله، وليس تفارق عينيه حمرة وخاتم النبوة بين كتفه، واسمه أحمد وهذا البلد مولده ومبعثه ، ثم يخرجه قومه منها ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر إلى يثرب فيظهر أمره، فإياك أن تخدع عنه، فإني طفت البلاد كلها أطلب دين إبراهيم فكل من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون : هذا الدين وراءك وينعتونه مثل ما نعته لك، ويقولون لم يبق نبي غيره " الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ط / دار الكتب العلمية بيروت ، 1 / 526 ـ 535 .

المنارة للاستشارات

ww

12. الحياة الروحية في الإسلام، محمد مصطفى حلمي، ط / المطبعة الثقافية، القاهرة 1970، ص/ 35 ـ 40 ـ 44 ـ 55.

13. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، م س، 3 / 21 ــ 22 .

14. ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص / 210 ، الحديث : " الدنيا ملعونة .... " رواه ابن ماجة والترمذي .

15. مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين الإمام ابن قيم الجوزية ، ط / دار الكتاب العربي بيروت 1392هـ ــ 1972 ، 1 / 6 ، وراجع منزلة العبودية ، ومنزلة العلم .

16. رواه مسلم.

17. ابن سعد، طبقات 3 / 198، الحياة الروحية في الإسلام، محمد مصطفى حلمي، ط / المطبعة الثقافية القاهرة 1970، ص/ 12 ـ 15.

18. رواه الترمذي، كتاب فضائل الصحابة ، فضائل أبي بكر .

19. ابن حنبل، كتاب الزهد ط / دار الكتب العلمية بيروت، 1414 ، زهد عمر ص/ 113 ، صفة الصفوة ابن الجوزي ط / ، 253 /2، والحديث رواه البخاري ومسلم .

20. التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام ، العمري أكرم ضياء، ط/ دار إشبيليا، الرياض 1417هـ، ص / 59، الزهد، الإمام أحمد بن حنبل، زهد أبي بكر الصديق، ص/ 135. الطرطوشي، سراج الملوك، ط/ الدار المصرية اللبنانية، القاهرة 1414 هـ، 2 / 522 ـ 523 .

21. ابن تيمية، شرح العقيدة الأصفهانية، ص/ 107 ، وانظر الفتاوى مجلد العقيدة رقم 2 ، الكلام عن الصوفية والفقراء مجلد رقم 11 .

22. صفة الصفوة، م س، ص / 25 ، وانظر في زهده ابن الجوزي، عمر بن الخطاب .

23. رواه الترمذي، كتاب الزهد .

24. الأعلام، خير الدين الزركلي، ط / دار العلم للملايين بيروت 1997 ، 141/3. ابن حنبل، م س، زهد عمر، ص / 112، وأصل هذا المعنى حديث للنبي صلى الله عليه وسلم ونصه "والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني من هذه الأمة ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار" رواه مسلم عن أبي هريرة .

25. تعريفات للجرجاني، ط/ دار الكتاب المصري 1411هـ، ص/128، سراج الملوك، الطرطوشي ط /، 2 / 218 .

26. ابن حنبل، م س، زهد عمر ، صفة الصفوة، م س ،ص / 109، وانظر بتوسع مسيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، للصلابي، ط /دار الفجر للتراث ، القاهرة 1424 هـ .

27. تفسير ابن كثير للآية ، 4 / 47 ، صفة الصفوة ، ابن الجوزي، ط / م س، ص / 118 .

المنارة للاستشارات

ww

28. تاريخ الطبري 3/ 53 ـ 54 ، وطبقات ابن سعد 3/ 187 ، مع المسلمين الأوائل ، مصطفى حلمي، ط/ دار الدعوة الإسكندرية 1409هـ ، ص/ 23 ـ 26. سيرة عثمان بن عفان، الصلابي، المكتبة التوفيقية، القاهرة ،2003، ص / 31 ، وابن حنبل، م س، زهد عثمان بن عفان .

29. رواه الترمذي ، كتاب فضائل الصحابة ، فضائل أبي بكر . لابن حنبل، م س ، 1 / 123، وانظر : مع المسلمين الأوائل في نظرتهم للحياة والقيم ، مصطفى حلمي، ط/ دار العلوم 1409 هـ - ص /37 .

30. ابن حنبل، م س، زهد عمر بن الخطاب ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ترجمة عمر بن الخطاب .

31. صفة الصفوة ، م س ، ذكر مناقب أبي بكر ، ص/ 253 .

32. أخرجه ابن عساكر، وراجع : رجال الفكر والدعوة 1 / 105 لأبي الحسن الندوي ، عند كلامه عن أحمد بن حنبل .

33. فلما توفي أبو بكر استرجع علي رضي الله عنه وجاء مسرعا باكيا وقال : " رحمك الله أبا بكر، لقد كنت والله أول القوم اسلاما، وأكملهم ايمانا، وأشدهم يقينا، وأخوفهم لله تعالى، وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشبههم به هديا وخلقا، وسمتا وفضلا، وأكرمهم عليه ، و أرفعهم عنده ، فجزاك الله عن الاسلام خيرا، صدقت رسول الله حين كذبه الناس، فسماك الله في كتابه صديقا، فقال تعالى : { **و الذي جاء بالصدق و صدق به أولئك هم المتقون** } " الزمر 33 "، وآنسته حين تخلفوا، و قمت معه حين قعدوا، وصحبته في الشدة حين تفرقوا، أكرم الصحبة، ثاني اثنين وصاحبه في الغار، ورفيقه في الهجرة، والمنزل عليه السكينة، وخلفته في أمته أحسن الخلافة، فقويت حين ضعف أصحابك، وبرزت حين استكانوا، وقمت بالأمر حين فشلوا، و مضيت بقوة إذ وقفوا، كنت أطولهم صمتا، وأبلغهم قولا، وأشجعهم قلبا، وأشدهم يقينا، وأحسنهم عملا، كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم، ضعيفا في بدنك ، قويا في أمر دينك، متواضعا في نفسك، عظيما محبوبا إلى أهل السماوات و الأرض ، فجزاك الله عنا و عن الاسلام خيرا " سراج الملوك، أبو بكر الطرطوشي، م س، 2 /522-523 .

طبقات بن سعد، م س، 4 /146 ـ 147 .

34. سراج الملوك، م س، 2 / 530 .

35. صفة الصفوة، م س، ذكر وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ط/ دار المعرفة بيروت، 1406، 1 / 291 .

36. الحديث رواه البخاري في كتاب الرقاق ورقمه (6416) ، ورواه الترمذي في كتاب الزهد .

37. الزهد لابن حنبل ، زهد عمر بن الخطاب ، ص / 112 .

38. سراج الملوك ، م س، 1 / 218 .

المنارة للاستشارات

ww

39. الزهد لابن حنبل ، زهد عمر بن الخطاب .
40. راجع تفسير ابن كثير للآية من سورة الزمر آية 9، وصفة الصفوة ، في ذكر ثناء الناس على عثمان بن عفان رضي الله عنه .
41. عثمان بن عفان، محمد علي الصلابي، ط/ المكتبة التوفيقية، القاهرة 2003 ، ص / 31، والزهد لابن حنبل، زهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، والحديث رواه الترمذي .
42 ـ راجع ذكر أحوال أهل الصفة في حلية الأولياء لأبي نعيم، وسنن الترمذي في ذكر عيش أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم .
43. مع المسلمين الأوائل، م س ، مصطفى حلمي، ص / 34 ـ 37 ، الزهد لابن حنبل ، زهد علي بن أبي طالب ، صفة الصفوة، مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
44. رواه أبو داود ، وابن ماجة، والترمذي وقال حديث حسن صحيح .
45. الحديث رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة .
46. الكامل في التاريخ لابن الأثير، ط / دار الكتاب العربي بيروت 1400، 3 / 90 ـ 99 .
47 ـ الحديث رواه أبو داود، كتاب السنة عن العرباض بن سارية رضي الله عنه ، رقمه 4607 .
48 ـ كتاب الزهد ، أحمد بن حنبل، زهد علي بن أبي طالب، ص/ 130 .
49 ـ رجال الفكر والدعوة، أبو الحسن علي الحسن الندوي، 1 / 105، في كلامه عن الإمام أحمد .
50 ـ حلية الأولياء، ط / دار الكتاب العربي بيروت 1400هـ، 1 / 84 ـ 85 ، سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، علي محمد الصلابي، ط / مؤسسة إقرأ القاهرة 1426 ـ 2005 ص /227 .
51 ـ الزهد لابن حنبل، زهد علي بن أبي طالب، ص / 130 ، وراجع في زهد علي أيضا سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للصلابي، م س ، ص / 215 ـ 219 .
52. الزهد لابن حنبل ، زهد أبو الدرداء، مع المسلمين الأوائل، م س ، ص / 43 ـ47 .
53. صفة الصفوة، ص/ 280 .
54. صفة الصفوة، ص/ 263 .
55. الزهد لابن حنبل، زهد أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، والحديث خرجه الإمام أحمد في المسند (مسند أبي ذر).
56. مع المسلمين الأوائل، م س، ص/46 .
57. مع المسلمين الأوائل، ص/49. أحمد بن حنبل، زهد عمر بن الخطاب، ص/ 149 .
58. راجع ترجمة عثمان بن مضعون في طبقات ابن سعد ، والطبراني في الكبير 19 / 281 .
59. صفة الصفوة م س، ط/ مؤسسة الكتاب الثقافية، بيروت 1413هـ، 1 / 192 ـ 194، الطبقات الكبرى لابن سعد، ترجمة عثمان بن مضعون، 3 / 300 ـ 306 .

المنارة للاستشارات
ww

60 ـ أحكام القرآن، ابن العربي، ط/ دار المعرفة بيروت، ب ت ، 2/ 637 ـ 638، مختصر تفسير الثعلبي، أبوبكر الطرطوشي، مخطوط في خزانة الهيئة المصرية للكتاب، صنف تفسير(240) ، (3200ق) الرقم (22021) ، (15260) ، ص / 56 ـ 57 .

61 ـ سراج الملوك، م س، 2 / 529 ـ 532، وانظر ترجمة عمير بن سعد الأنصاري في حلية الأولياء لأبي نعيم، م س ، ط / دار الكتب العلمية بيروت 1418هـ.

62 ـ سراج الملوك، م س، 2 / 528 ـ 529 ، الاستيعاب، ابن عبد البر، ترجمة سعيد بن عامر رضي الله عنه، وزهده في صفة الصفوة لابن الجوزي، والزهد لابن حنبل، والحديث رواه البخاري عن سعيد بن عامر .

63 ـ موسوعة فقه عمر بن الخطاب، رواس قلعجي ، ط 2/ دار الفلاح الكويت 1404هـ ، باب الإمارة ص/ 101 ـ 102، سراج الملوك ، 2 / 532 ، الإمامة والسياسة ، ابن قتيبة ، ط / مؤسسة الحلبي بلا تاريخ ، 1 / 28 ـ 29 .

64 ـ الحديث رواه الترمذي وقال حديث غريب ، وضعفه الألباني في (ضعيف سنن الترمذي) ، الزهد لابن حنبل ، زهد عمر بن الخطاب .

65. سراج الملوك م س، 2 / 528 ـ 529 ، والحديث رواه البخاري ورقمه (2643) .

66 ـ سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، محمد علي الصلابي ، ط / 1،دار الفجر القاهرة 1424هـ، 2003 ، ص / 233 ـ 234 .

67. الحديث رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود بلفظ : " إنما أهلك من قبلكم الدينار والدرهم وهما مهلكاكم " .

68. الزهد لابن حنبل، زهد مجاهد بن جبير ، وراجع ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي.

*.أي يستغفر له أويس القرني.

69. طبقات الصوفية، محمد عبد الرؤوف المناوي ،ط/ دار صادر، بيروت 1999، 210/1 ـ 215 صفة الصفوة ، زهد صلة بن أشيم .

70. صفة الصفوة، زهد عامر بن عبد قيس .

71. اللمع الطوسي، ط / القاهرة 1960، ص / 104 .

72. اللمع، أبو نصر السراج الطوسي، وأعلام النبلاء للذهبي ، م س ، ترجمة عامر بن عبد قيس، حلية الأولياء ، في زهد وزهد وأحوال عمر بن عبد قيس .

73. الرسالة للقشيري، اللمع للطوسي، قوت القلوب لأبي طالب المكي، الموسوعة الصوفية، لعبد المنعم الحفني، الحسن البصري، لإحسان عباس .

74. الزهد لابن حنبل ، ص / 267 ، زهد الحسن البصري، طبقات ابن سعد ، 7 / 169، المدخل لابن الحاج ط / دار التراث بلا تاريخ ، 2 / 141 .

75. الزهد، م س ، ص / 327 .

المنارة للاستشارات

ww

76. الزهد ، م س، ص / 327 وانظر كتاب الحسن البصري لإحسان عباس .

**. أي لا خروج على الحاكم ولا لكتمان الحق والنصيحة.

77. سراج الملوك، أبو بكر الطرطوشي، م س ، 1 / 191 ـ 192 .

78. سراج الملوك ، م س ، 1 / 191 ـ 192 .

79. الموسوعة الصوفية ، م س ، ترجمة الحسن البصري .

80. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، م س، 3 / 272 ـ 276 .

81. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، م س، 3 / 123 ـ 311 ـ 313 ، وانظر الموسوعة الصوفية لعبد المنعم الحفني ، واللمع للطوسي وو.... .

المنارة للاستشارات

ww